الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⵓⵖⵏⴻⵀⵉⵙⵙⵏⵎⵙⵜⵉⵏⴻⵣⵣⴰⵢⵙⵉⵎⵓⵍⴰ
ⵜⴰⵙⴷⵓⵍⴻⵜⵏⵎⵙⵜⵓⵔⵔⵉⵜⵙⵜⵉⵔⵉⵜⵙⵜⵉⵔⵉⵜ
ⵜⴰⵣⵣⴰⵢⵜⵏⵜⵓⵔⵉⵜⵜⵓⵣⵓ
UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES

جامعة مولود معمري، تيزي-وزو
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها
الدّفعة: 2022/2021م

مذكرة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي
الشّعبة: دراسات أدبيّة
التّخصّص: أدب جزائري

شعريّة المكان في رواية عرائس الرّمل لمحمّد حسن مرين

إعداد الطّالبة:	إشراف الأستاذة:
-ليدية طالبي	-نورة بعيو

أعضاء لجنة المناقشة

أ/ د نعيمة لعقريب أستاذة التّعليم العالي	جامعة مولود معمري تيزي-وزو	رئيسا
أ/ د نورة بعيو أستاذة التّعليم العالي	جامعة مولود معمري تيزي –وزو	مشرفا ومقرّرا
أ/ د نسيمة لعداوي أستاذة محاضرة صنف (أ)	جامعة مولود معمري تيزي وزو	عضوا ممتحنا

السّنة الجامعيّة: 2021/ 2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أقدّم الشّكر لكلّ أساتذة قسم اللّغة العربيّة الذين أخذنا منهم ما أهلّنا لبلوغ مستوى الماستر...

كما أشكر الأستاذة المشرفة "نورة بعيو" التي لم تبخل عليّ بنصائحها العلميّة القيّمة لإنجاز هذا العمل...

أشكر كل صديق... كلّ قريب...كلّ من ساهم في هذا العمل...

بقلم: ليدية

الإهداء

إلى كلّ ذات أدركت أنّ قوامها لا يستوي إلّا بوجود آخر تستند عليه...

إلى كلّ شخص ولج الصّعاب ولم يهب...

أهدي هذا العمل لنبراس قلبي، وجلاء حزني والدتي العزيزة التي لم تفطمن إلّا وقد زرعت في قلبي حبّا لا يندثر وشفعا بالعلم باق طول الأمد...

إلى من كان له كلّ الفضل عليّ والدي العزيز...

إلى الأستاذة المشرفة "ثورة بعيو" التي ساعدتني كثيرا بالنصيحة العلميّة لإنجاز هذه المذكّرة...

إلى كلّ الأحبّة والأقارب، وكلّ عمّال قسم اللّغة العربيّة...

ليدية طالبي

مقدّمة

تعدّ الرّواية من أهمّ الفنون الأدبيّة التي اتّخذها الكاتب كوسيلة للتّعبير عن أفكاره وآرائه، حيث يحاول من خلالها تصوير الذّات والواقع من مختلف جوانبه النّفسية والاجتماعيّة والسّياسيّة، بطريقة سرديّة مباشرة أو غير مباشرة،تلك التي تتعدّد موضوعاتها ومضامينها في التّعبير عن الجوانب الخفيّة من حياة النّاس، ما جعلها من أبرز الأجناس الأدبيّة التي تترجم واقع الفرد وتطلّعاته، واستطاعت بهذا أن تواكب ملامح التّجديد والحداثة، انطلاقا من أساليب الكتابة التي يعتمدها المؤلّف فيها، وكلّ هذا قد أدّى بالباحثين والدّارسين لتسليط الضّوء عليها في دراسات عدّة ومختلفة حولها، باعتبارها من أكثر الأنواع الأدبيّة ثراء، لتبلغ بهذا شأنا عظيما في الدّراسات الأدبيّة والنّقدية الحديثة.

ويرتبط المكان بالرّواية كثيرا، إذ يعدّ من أهمّ عناصر البناء الرّوائي، والمرتكز الذي يقوم عليه تأسيس النّص الأدبي الرّوائي، فهو يضمن التّماسك الفنّي للرّواية، من خلال ما يؤدّيه من دور فيها، وهذا ما يدعنا نقول إنّ الرّواية والمكان قرينتان، إذ تحتاج الرّواية لمثل هذا العنصر لتنظّم محتواها، وتشدّ به أواصر العلاقة مع بقيّة عناصرها، كما أنّ المكان بدوره يحتاج إلى النصّ الرّوائي الذي يعمل على إبرازه –المكان– والكشف عن دلالاته في المضمون الرّوائي، حيث ظلّت دراسة المكان في النّصوص الأدبيّة بشكل عام والرّوائيّة بشكل خاص غائبة نوعا ما في الدّراسات العربيّة، حيث كانت تصبّ اهتمامها على دراسة الأحداث والوقائع، وكان شغلها الشّاغل وظائف الشّخصيات وجمالية اللّغة، ممّا جعل المكان يأخذ حيّزا ضيّقا من هذه الدّراسات.

لذلك وقع اختيارنا على هذا الموضوع، باعتبار المكان يأخذ دورا مهمّا في تقديم النصّ الرّوائي من نواحي عدّة، ناهيك عن الوظيفة الجمالية له، فمن أهمّ ما دفعنا لإنجاز هذه الدّراسة اهتمامنا العلمي المتزايد بالجنس الرّوائي، لما له من أهمّية كبيرة خاصة في عصرنا هذا، بالإضافة إلى قلّة الدّراسات التي تناولت روايات **(محمّد حسن مرين)**، ما ولّد لدينا

الرّغبة في الكشف عن شعرية السّرد، وتقديم دراسة تطبيقيّة حول المكان الذي يحتلّ حيّزا كبيرا في روايتنا المدروسة **(عرائس الرّمل)**، حيث جاءت الدّراسة معنونة بـ: **(شعريّة المكان في رواية عرائس الرّمل)**، والتي تسعى في مجملها للإجابة عن الإشكالية الأساس التي يطرحها البحث، والمتمثّلة في: **فيما تتجلّى شعريّة المكان في رواية عرائس الرّمل لمحمّد حسن مرين؟**

كما تطرح هذه الإشكالية مجموعة من تساؤلات فرعيّة نجملها فيما يلي:

- ما مفهوم المكان؟
- ما هي أنواع الأمكنة التي استعان بها الرّاوي في هذه الرّواية؟
- ما قيمة المكان وما وظيفته في رواية **(عرائس الرّمل)؟**
- كيف تعامل الرّاوي مع مختلف الأمكنة الواردة في نصّه؟ وما هي الخصوصيّة التي يتميّز بها كلّ مكان عن آخر؟ وفيما تكمن جماليته؟

ولإنجاز هذه الدّراسة، اعتمدنا إجراءات المنهج البنيوي، الذي اهتمّ كثيرا بدراسة تقنيات الخطاب الرّوائي وشعريته.

تطرّقنا في بحثنا هذا إلى عنصرين استبقناهما بمقدّمة ومدخل، وجاء المدخل بعنوان **(ضبط مصطلحات البحث)**، كان الحديث فيه عن أبرز المصطلحات التي تطرحها هذه الدّراسة من مفهوم المكان، والفضاء وغيرها من المصطلحات التي كان لا بدّ من ضبطها وتقديم تعريف لها، وقد احتوى العنصر الأوّل عنوان **(دراسة الأماكن المغلقة في الرّواية)**، تحدّثنا فيه عن أهم الأماكن المغلقة الواردة في رواية عرائس الرّمل، من خلال تحليل مجموعة من النّماذج، وهذا ما اعتمدناه أيضا في العنصر الثّاني من هذه الدّراسة، حيث جاء بعنوان **(دراسة الأماكن المفتوحة في الرّواية)**، اعتمدنا فيه الجانب التّحليلي لبعض من النّماذج حملت هي الأخرى أماكن ذكرها الرّاوي كانت قد أدّت بدورها وظائف مختلفة

ومتعدّدة خدمت النصّ الرّوائي، وخلُصنا في الأخير إلى مجموعة من النّتائج أجملنا ذكرها في خاتمة هذا البحث.

ومن المراجع التي خدمتنا كثيرا في هذا البحث نذكر ما يلي:

- رواية عرائس الرّمل لمحمّد حسن مرين.
- حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي (الفضاء، الزّمن، الشّخصية).
- حسن نجمي، شعرية الفضاء السّردي (المتخيّل والهوّية في الرّواية العربيّة).
- غاستون باشلار، جمالية المكان.

وككلّ بحث يُنجز، هناك بعض الصّعوبات التي تعرقل عمليّة البحث عن المادة والمراجع اللّازمة للوصول إلى ما تقتضيه الدّراسة، من بينها قلّة الدّراسات التي تناولت هذه الرّواية، وتشعّب الجانب الأدبي من حيث المفاهيم وضبط المصطلحات.

وفي الأخير، نشكر الأستاذة المشرفة **(نورة بعيو)** على كلّ التّوجيهات التي قدّمتها لنا بشكل مستمر، كما نوجّه لها تحيّة تقدير واحترام، دون أن ننسى كلّ من قدّم لنا العون من الأساتذة والباحثين داخل قسمنا، ويبقى البحث مجرّد نافذة ستفتح أبوابا لاحقة في المستقبل.

الفصل الأوّل: ضبط مصطلحات البحث

- تمهيد

1- مفهوم المكان لغة واصطلاحا.

2- ثنائية الفضاء والمكان.

3- أنواع الأمكنة:

أ-الأمكنة المفتوحة.

ب-الأمكنة المغلقة.

4- توظيف المكان في الرّواية.

- **توطئة:**

تمثّل الرّواية إحدى أهمّ الأجناس البارزة في الميدان الأدبي، باعتبارها تصوغ مجموعة من المشاعر الإنسانيّة التي ترتبط بذات الفرد، وواقعه الاجتماعي الذي يعيش فيه، فهي ترصد حالات تتعلّق بما يمرّ به الإنسان من تجارب في حياته تترجم إلى مجموعة نصوص انطلاقا ممّا يكتبه الأديب بصفة عامة، وما ينقله الرّاوي بصفة خاصة تميزّها الكتابة الإبداعيّة التي تطرحها الرّواية كإحدى أكثر المميّزات التي تمتاز بها عن الأجناس الأدبيّة الأخرى، حيث يدخل في تركيبها مجموعة من العناصر التي يرى فيها المؤلّف أنّها ضروريّة لإيجاد الاتّساق الذي تتطلّبه الرّواية لعرض عناصرها، وتحقيق الانسجام الذي يشكّل مضمونها بصورة فنّية جماليّة تستقطب المتلقّي، وبهذا يتمكّن كاتبها من إيصال جملة ما يسعى إليه من أفكار ورؤى، حيث تقتضي هذه العناصر اختيار نمط إدخالها واستغلالها، وكذا معرفة مواطن إيرادها، لتتكوّن بذلك البنية الرّوائيّة ذات الجمال النصّي والمقصد التّبليغي من كلّ النّواحي.

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أنّ المكان يشكّل من بين هذه العناصر إحدى المكوّنات الهامة التي تقوم عليها الرّواية على اختلاف أنواعها، فهو يأخذ حيّزا واسعا بين سطورها، لضرورة إقحامه كمنشّط تُسرد من خلاله مجموعة الأحداث التي تتعلّق بشخصيات النصّ الرّوائي، إذ يحمل في مجمله ما لا ينفصل عن هذه الشّخصيات أبدا، باعتباره مواطن تواجدها وقيامها بأعمالها اليوميّة المختلفة، وكذا مقرّ إنتاجاتها المختلفة من يوميات تحمل تارة ذكريات عديدة سعيدة وفرحة، وتارة أخرى تعكس مشاغل النّاس وأفكارهم، وتصوغ تجارب الحياة المريرة والمحزنة، من أبرزها (البيت، والشّارع، وأماكن العمل، والسّجن) وغير ذلك من الأماكن، حيث سنتطرّق في دراستنا هذه إلى الكشف عن بعض هذه الأماكن التي استعان بها الرّاوي **(محمّد حسن مرين)** في روايته **(عرائس الرّمل)**، ولكن قبل هذا، لا بدّ لنا من قراءة وجيزة لبعض المصطلحات التي يطرحها هذا الموضوع على النّحو الآتي:

1-مفهوم المكان لغة واصطلاحا:

تعدّدت التّعريفات التي تناولت مفهوم المكان في المعاجم اللّغوية، حيث جاء في **(لسان العرب لابن منظور)** أنّ: " المكان هو الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكانا فعالان؛ لأنّ العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك. فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من كان أو موضع منه".[1] كما يرد في تعريف لغوي آخر على لسان أحد الباحثين أنّه: "هو الموضع والمكانة، يقال فلان يعمل على اتّقاده (...) والمكانة، المنزلة عند الملك، والجمع مكانات، ولا يجمع جمع تكسير، وقد مكّن مكانه فهو مكين".[2]

بالإضافة إلى ما يرد في **(المعجم الوسيط)**: "المكان جمع أماكن وأمكنة أو أمكن: موضع كون الشّيء، والمكانة جمع المكان والمواضع والمنزلة، يقال: مكين أي موجود فيه".[3] ويرد في **(الصحاح للجوهري)** كلمة "المكان تحت مادة (ك. و. ن) وفيه المكانة: المنزلة والموضع".[4] أمّا في **(القاموس المحيط)** فقد وردت الكلمة تحت مادة (كون) أنّها بمعنى: "المكان الموضع، كالمكانة: أمكنة وأماكن، وتحت مادة (مكن) يقول: المكانة: المنزلة، التّكوين، ونقول للبغيض لا كان ولا تكن".[5] وعليه، نلاحظ من خلال ما يرد في التّعريفات اللّغويّة المقدّمة أنّ لفظة المكان تحمل دلالة ما يشير إلى موضع كون الشّيء ومكانته بين

---

[1]- أبو الفضل محمّد بن مكرم بن علي جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين عبد الوهاب، محمّد الصّادق القيدي، مج 6، دار إحياء التّراث العربي، لبنان: 1999، ص 3960، مادة (مكن).

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص 3961.

[3]- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ط4. مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة (جمهورية مصر الدّولية): 2004، ص600.

[4]- ابن إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللّغة العربيّة والصّحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج1، مج06، دار العلم للملايين، بيروت: 1979، ص 2191.

[5]- محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّيرازي الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت: 1999، ص 267، مادة (كون).

الأشياء الأخرى، أو معنى المنزلة التي تتعلّق بالشّيء في أبسط تعريف للمكان حسب ما تتّفق عليه أغلب المعجمات العربيّة.

وقد أشار القرآن الكريم في آيات عدّة إلى لفظة المكان، على أنّها تدل أحيانا على: الموضع أو المستقرّ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾، **(مريم/16)**،وقد جاء في هذه الآية المكان بمعنى موضعا. أمّا في آية أخرى، فقد ورد بمعنى منزلة في قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾، **(مريم/57)**، بينما وردت في موضع آخر بمعنى (بدلا منه)، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾، **(يوسف/78)**. ومنه فإن ّدلالة (الموضع، المنزلة، أو بدلا منه) من أبرز المعاني المذكورة في القرآن الكريم للفظة المكان.

أمّا في المفهوم الاصطلاحي، فيرى **(أرسطو)** أنّ "المكان موجود ما دمنا نشغله ونتحيّز فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة، التي أبرزتها حركة النّقلة من مكان إلى آخر".[1]، أمّا **(أفلاطون)**، فالمكان عنده "يكون حاويا، وقابلا للشّيء، فالاحتواء والقبول صفتان للمكان، وقد تحدّث أفلاطون كما أسماه (القابل) أو (الوعاء) أو (المحل)، إذ إنّ هذا الوعاء أو القابل ليس سوى المكان الذي أوضحه أفلاطون في قيماوس، إذن المكان عنده هو ذلك القابل الذي يقبل كل ما يلحّ فيه، فهو مستودع للصّور دون أن يكون له أيّة صورة أو مثال معين".[2] ونضيف إلى ما يذكره أرسطو وأفلاطون عن المكان أنّ في معناه "المكان الأليف الذي ولدنا فيه، أي بيت الطّفولة، إنّه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكّل في حياتنا، فالمكانة في الأدب هي الصورة النّفسية التي تذكّرنا أو تبعث فينا ذكريات الطّفولة، ومكانة

[1]– حسن مجيد العبيدي، نظريّة المكان في فلسفة ابن سينا، مر: الدّكتور عيد الأمير الأعسم، ط1. دار الشؤون الثقافية العامة، العراق: 1987، ص 28.

[2]– جعفر الشّيخ عبوش، "المكان وسلطة الوعي الفلسفي"، مجلّة أقلام السّند، ع04، دب: 2020، ص20.

الأدب العظيم تدور حوله هذه الصّورة".[1] ومن هذا القول يتّضح لنا أنّ المكان يشير في مواضع عدّة إلى البيت، الذي يعدّ مقر الفرد وحاملا لذكرياته المختلفة، حيث إنّ هذه الدّلالة تصنع في النّصوص الأدبيّة حسب ما يذكره القول السّابق صورة نفسيّة تترجم تلك الذّكريات التي تتعلّق بالإنسان، ومنه تبرز مكانة هذا الأدب وفقا لما تعطيه من جمالية للنصّ المكتوب.

ونذكر في هذا الصّدد، أنّ كلمة مكان تحمل الكثير من الدّلالات التي تختلف من ميدان لآخر، وفد اقتحمت العديد من الميادين المعرفية كعلم النّفس، وعلم الاجتماع، والعلوم الفيزيائية وغيرها من العلوم الأخرى، والاهتمام الكبير الذي كان من أهل الفكر والفلسفة حول قضيّة المكان، الذي يبرز من خلال العديد من دراساتهم، حتى ولو لم يطرحوا كتبا مستقلّة حول ماهية المكان ودلالاته، فإنّنا نلحظ ما يرد في العديد من محاولاتهم الفكريّة الفلسفيّة كما أشرنا من خلال أقوال كلّ من أرسطو وأفلاطون السّابقة في تقديمهما ماهية المكان ودلالته، ولعلّ هذا يبرز أهمّية هذا المصطلح في الدّراسات والعلوم على اختلافها.

وإذا ركّزنا على مفهوم المكان في الجانب الأدبي، فإنّنا نجد العديد من الباحثين الذين تناولوا هذا المصطلح، لما له من أهمّية كبيرة في تنسيق الأحداث، خاصة تلك التي ترد في مضمون الرّواية، والذي سنراه أكثر فيما يلي من نقاط هذه الدّراسة، ومن بينهم ما ذكره **(الشريف حبيلة)** في كتابه **(بنية الخطاب الروائي)** قائلا إنّ: "المكان عنصر بنائي، يساهم في تشييد الرّواية، وضرورة الكشف ومعرفة خصائص هذا الفن، وما يتميّز به روائي عن آخر".[2] وفي هذا القول، يكون الباحث قد قدّم لنا دلالة المكان كأهمّ العناصر التي يقوم عليها النصّ الرّوائي، إذ له خصائص تسهم في الكشف عمّا يحمله مضمون النصّ وما

[1]– غاستون باشلار، جمالية المكان، تر: غالب ملسا، ط2. المؤسّسة الجامعية للدّراسات، بيروت: 1984، ص 38.

[2]– الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، ط1. عالم الكتب الحديث، دب: 2009، ص169.

يعطي ميزة للرّاوي، تجعل كتابته تختلف عن باقي النّصوص الرّوائيّة من خلال لمسة خاصة يستند في مجملها حسب هذا القول إلى توظيف المكان في سرده للأحداث.

أمّا **(حسن بحراوي)** فيقول: "إنّ المكان يبدوا كما لو كان حيّزا حقيقيا للأفكار والمشاعر والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان علاقة متبادلة يؤثّر فيها طرف على آخر".[1] حيث يورد الباحث في قوله هذا عن ماهية المكان أنّها تلك المتعلّقة بالحيّز الذي يصوغ العلاقة بين الإنسان وحياته، انطلاقا من مجموعة أفكار ومشاعر مختلفة تأتي في قوالب متعدّدة تؤثّر على الإنسان من نواحي عدّة، ويقول أيضا إنّه: "الفضاء التخيّلي الذي يضعه الرّوائي من كلمات، ويصفه كإطار تجري فيه الأحداث".[2] حيث يذكر في هذا أنّ المكان حسب ما يتعلّق بالكتابة الأدبيّة هو فضاء يخلقه الكاتب ليستخدم كإطار عام يحوي جملة الأحداث التي يريد وصفها للمتلقّي، وإنّ هذا الإطار هو ما يعمل على ربط كلّ حدث بموضعه المناسب، لتأتي أحداث الرّواية متسلسلة ومنظّمة على نحو يفهمه متلقّي النصّ الأدبي عامة، حيث يمكن أن يوجِد الكاتب فضاء متخيّلا من إبداعه الخاص، كما أنّنا نجد في معظم الرّوايات أماكن حقيقيّة يعتمدها الرّاوي لنقل الأحداث والوقائع، وما يربط الشّخصيات بها.

ويمكن لنا أن نضيف في هذا الصّدد أنّ "المكان ليس عنصرا زائدا في الرّواية، فهو يتّخذ أشكالا ويتضمّن معان عديدة، بل إنّه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كلّه".[3] وهذا ما يبيّن لنا أهمّية توظيف المكان في النصّ الرّوائي، ويبرز العلاقة بين هذين العنصرين كعلاقة تلاحم وترابط لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وحسب القول يمكن أن يكون المكان هو الهدف النّهائي والمقصد الذي يسعى كاتب الرّواية لبلوغه.

---

[1]– حسن بحراوي، بنية الشّكل الروائي (الفضاء، الزّمن، الشّخصيات)، ط1. المركز الثّقافي العربي، دب: 1990، ص 31.

[2]– المرجع نفسه، ص 30.

[3]– عمر عاشور، البنية السّردية عند الطّيب عاشور الجزائري، ط1. دار هومة، دب: 2010، ص 89.

أمّا **(ياسين النّصير)** فيقول إنّ: "المكان عندي يتلخّص بأنّه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التّفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أيّ نتاج اجتماعي يحمل جزءا من أخلاقه وأفكار ووعي ساكنيه منذ القدم، وفي الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والغريب الذي سجّل للإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه".[1]ويشير هذا القول إلى أنّ المكان يحوي مجموعة التّفاعلات التي تكون بين الإنسان وكافة تحرّكاته المختلفة التي تنشّط حياته، وإنّ هذا التّفاعل هو ما يبرزه من خلال أماكن عديدة تتمّ فيها الوقائع، وتجمع بين ما تطرحه حياته من كلّ هذه العناصر وأفكاره ومشاعره.

فالمكان في الرّواية قائم على خيال المتلقي، وهو نتاج إبداعه، حيث يتخيّل مجموعة الأماكن التي يستعملها الرّاوي إن صحّ التّعبير، فالمكان ليس حكرا على كاتب النصّ فقط، إذ يمكن للمتلقّي أن يتخيّل ويضع ذلك المكان أو مجموعة الأمكنة الواردة في الرّواية تبعا لما يطرحه ذهنه، وما في مخيّلته وأفكاره، حيث يمكن أن يكون هذا مخالفا للمكان الذي يقصده الرّاوي من حديثه، إذ يأخذ المكان تأويلات عدّة تختلف من متلقّي لآخر.

يأخذ المكان أهمّية في النصّ الرّوائي، باعتباره "مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظّواهر، أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال (المتغيّرة...إلخ)، وتقوم بينهما علاقة شبيهة بالعلاقات المكانيّة المألوفة العادية (مثل الاتّصال، المسافة... إلخ)".[2] وهذه العلاقة التي تنشأ بينه وبين العناصر الأخرى هي التي تمدّه بتلك الأهمّية التي يحظى بها في الدّراسات الأدبيّة على اختلافها، فهو "عنصر مهمّ في العمل الرّوائي يؤدّي دورا بارزا في النّقد الأدبي

[1]– ياسين النصير، "الرّواية والمكان"، سلسلة الموسوعة الصغيرة، العدد 195، دار الشّؤون للثّقافة العامة، بغداد: دت، ص 16.

[2]– يوري بوتمان، "مشكلة المكان الفني"، تر: سيزا قاسم، مجلة عيون المقالات، ط2. دار أز، الدّار البيضاء: 1998، ص 69.

الحديث خاصة، فهو يعدّ من الأركان الأساسيّة التي يبنى عليها العمل السّردي".[1] ويمكن لنا أن نذكر إضافة إلى هذا، أنّ إقحام المكان في النصّ الرّوائي "من العوامل المساعدة على تحديد رؤية الكاتب، وإجلاء أبعادها وتحديد معالم الخطوط الدرامية للعمل كلّه، وتحديد صراع الشّخوص مع وافعها ومع ذواتها في الوقت نفسه".[2] فالمكان لا يمكن فصله عن المحتوى الرّوائي ولا لأيّ سبب كان، إذ في ذلك ينتج الاختلال على مستوى البنية النصّية لها كرواية، تحتاج التّنسيق بين أحداثها، ونشاطات الشّخوص الواردة فيها، وبهذا يكون المكان إحدى العناصر الشّديدة الانتماء للأعمال الرّوائية ككل، دون أن يفوتنا أن نقول إنّه المسرح الذي تتمّ فيه الواقع وتترجم فيه الأحداث بطريقة فنيّة تنقل مقاصد كلام الرّاوي بشكل عام.

ويضيف **(ياسين النّصير)** قائلا: وعندي يشكّل المكان في الرّواية الأرضية التي تشدّ جزيئات العمل كلّع، فهو إن وُضّح وضُح الزّمن الرّوائي، وإن دُرس بعناية، فهمت الشّخصية، وإن تناوله الرّوائي بصدق تاريخي وصدق فنّي، مكّن عمله من أن يمتدّ التّاريخ، وإن فهم فهما جادا بعلائقه الأخرى، استنطق الكاتب أسلوبا... وعكس ذلك لن يصبح المكان بين يدي كاتب قليل التّجربة، ضعيف المخيّلة، فاقد الإحساس بالأشياء".[3] وبهذا فالكاتب الباحث قد لخّص ماهية المكان وأهميته في الأعمال الأدبيّة، ولعلّ المقصود من قوله الأخير أنّ الكاتب الذي يفتقر للتّجربة، ويكون ضعيف الخيال والمشاعر لا يتمكّن من وضع المكان في الرّواية تبعا للاستعمال الصّحيح، فمثل هذا العنصر لا بدّ أن يوضع في إطار محكم الصّياغة بطابع فنّي يتميّز به الكاتب.

---

[1]– قصي جاسم أحمد الجيوري، المكان في روايات تحسين كرمياني، مذكّرة مقدّمة لاستكمال درجة الماجيستير في اللّغة العربيّة وآدابها، إشراف: منتهى طه الحراحشة، جامعة آل البيت، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، الأردن: 2016/2015، ص05.

[2]– منتهى طه الحراحشة، الرّؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة مقدّمة لاستكمال درجة الماجيستير، جامعة آل البيت، الأردن: 2000، ص63.

[3]– ياسين النّصير، الرّواية والمكان، ص16.

2-ثنائية الفضاء والمكان:

أ- مفهوم الفضاء:

يعدّ الفضاء عنصرا أساسيّا ومكونّا مهمّا من مكوّنات أيّ عمل روائي، لأنّه يضمّ كل مكوّنات الرّواية من زمن وشخصيات وأحداث، لذلك تعدّدت مفاهيمه اللّغوية والاصطلاحيّة. ففي المفهوم اللّغوي حسب ما ورد في المعاجم العربيّة منها ما نجده في (**لسان العرب**) في (مادة فضا): "فضا: الفضاء، المكان وأفضي إذا اتّسع وأفضي فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأضلّه أنّه صار في فضائه وحيّزه، والفضاء: السّاحة وما استوى من الأرض واتّسع وجمعه أفضيه والفضاء الواسع من الأرض، والمكان مفض أي واسع، ونقول المفضي أي المتّسع".[1]

أمّا في (**المعجم الوسيط**)، فيعني"المكان وفضوا: اتّسع من الأرض والخالي من الأرض، ومن الدّار ما اتّسع أسامها، وما بين الكوكب والنّجوم من مسافات لا يعلمها إلّا الله، والجمع أفضية".[2] كما ورد في معجم (**تهذيب اللّغة للأزهري**) بأنّ "الفضاء المكان الواسع والفعل فضا يفضو فهو فاض، الفضاء، ما استوى من الأرض واتّسع والصّحراء فضاء، ومكان خاص ومفض: أي واسع".[3]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ص 157-158.

[2]- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص 694.

[3]- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللّغة، ج 12، ط1. الدّار المصرية، دب: د ت، ص 85، 86.

أمّا **(الجوهري)** يعرّفه بأنّه "الفضاء، المساحة، ما اتّسع من الأرض قال أفضيت إذ خرجت إلى الفضاء وأفضيت إلى فلان".[1] أي وصل إليه وأصله أنّه صار في فجوته. كما جاء في **(أساس البلاغة للزّمخشري)** "بمعنى فضو: أفضيت إليه بشفوي وأفضي الساجد بيده إلى الأرض إذا مسها بباطن كفه وأفضت بفلان: خرجت به نحو أصحوت".[2]

وعرّفه **(الزبيدي في تاج العروس)**:"فالفضاء، السّاحة وما اتّسع من الأرض حيث يستشهد بذلك يقول الرّاغب: المكان الواسع، وقول سمير: هو ما استوى من الأرض واتّسع وقول أو عاب القالي: الفضاء، السعة، ومنه القضاة والمقضي المتسع".[3] أمّا (ابن فارس) فقد عرّفه في قوله "الفاء والضاد، والحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على انفساح في شيء، واتّساع من ذلك الفضاء المكان الواسع".[4]

وإجمالا لكلّ التّعريفات الوارد في المفهوم اللّغوي للفظة الفضاء، نخلص إلى القول إنّ الفضاء يعني المكان الواسع، وما اتّسع من المساحة.

أمّا في المفهوم الاصطلاحي، فيرد الفضاء بمعنى أنّه عنصر مهمّ في ترتيب العلاقات الاجتماعية والثّقافية، وتنظيم أفعال الكائنات، ووعي سلوك الأفراد والجماعات، فيرى **(حسن نجمي)** أنّ "الفضاء السّردي شكل على الدّوام محايث للعالم تنتظم فيه الكائنات، والأسياد والأفعال لقياس الوعي والعلائق والتّرتيبات الوحدية والثّقافية، ومن ثمّة تلك

[1]– ابن إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللّغة العربيّة والصّحاح العربية، ص 2455.

[2]– أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، ج 2، ط1. منشورات محمّد علي يبطون، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998، ص 29.

[3]– محمد الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج 20، ط 1. دار الكتب العلميّة، بيروت: 2007، ص 117.

[4]– ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، مج 4، ط 1. دار الخيل، بيروت: 1999، ص 508.

التّقاطبات القضائيات التي انتهت إليها الدّراسات الأنثروبولوجية في وعي سلوك الأفراد والجماعات".[1]

كما يضيف قائلا: "هو المادة الجوهرية للكتابة الرّوائية، ولكلّ الكتب الأدبية".[2] كما أنّ الفضاء، هو "مجموعة من الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الرّوائية المتمثّلة في سيرورة الحدث سواء تلك التي تمّ تصويرها بشكل مباشر، وتلك التي تدرك بالضّرورة وبطريقة ضمنيّة مع كلّ حركة حكائيّة".[3] ومن هذا المنظور، نقول إنّ الفضاء حسب ما يراه حسن نجمي يشكّل أساس الكتابة الرّوائيّة، وفي القول الآخر إنّ الفضاء جملة الأماكن المنشّطة للحركة الواردة في الرّواية تأتي بطريقة مباشرة أو مفهومة انطلاقا من السّياق الرّوائي.

ويضيف **(حسن بحراوي)** مفسّرا الفضاء "هو موضوع للفكر الذي يخلقه الرّوائي بجميع أجزائه، ويحمله طابعا مطابقا لطبيعة الفنون الجميلة ولمبدأ المكان نفسه".[4] كما يضيف قائلا: "هو بمثابة بناء لا يتم إنشاءه اعتمادا على الميزّات الهندسية، وإنّما أيضا على الصّفات الدّلالية، وذلك يأتي منسجما مع التطوّر الحكائي العام".[5] ويقصد في هذا القول حسن بحراوي أنّ الفضاء يطابق مفهوم المكان، وقد يكون من إبداع الكاتب، يحمل صفات دلاليّة يتماشى مع التطوّرات التي تحصل في الرّواية، انطلاقا من بداية أحداث الرّواية التي تسرد حتى نهايتها.

---

[1]– حسن نجمي، شعريّة الفضاء السّردي المتحيّز والهويةّ والرّواية العربية، ط 1. المركز الأدبي العربي، بيروت: 2000، ص 42.

[2]– المرجع نفسه، ص 43.

[3]– حميد لحمداني، بنية النص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ط1. المركز الثّقافي الفكري، دب: 2002، ص 127.

[4]– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 27.

[5]– المرجع نفسه، ص 31.

أمّا **(سمر روحي الفيصل)** فيرى "أنّ الفضاء يشمل أمكنة الرّواية كلّها، إضافة إلى علاقتها بالحوادث ومنظورات الشّخصيات، ولاحظ أنّ تحليل المكان في الرّواية يقود إلى تحديد طبيعة الفضاء الرّوائي فيها، فهناك روايات حتى وإن كان الرّوائي يقصد حديثه على مكان واحد فظاهرها يدلّ على أنّها تطرح فضاءات عدّة، ولكن التّدقيق فيها يدلّ على أنّه تمكّن من التّمييز بين فضاء مركزي وفضاءات فرعيّة تشكّل شبكة علاقات متداخلة معقّدة".[1]حيث يرد في هذا المفهوم حسب ما يذكره الباحث في هذا المقام أنّ الفضاء يعني مجموع الأمكنة الواردة في الرّواية ككل، كمفهوم يشمل الفضاء الرّوائي بشكل عام، قد يكون تارة يشمل أمكنة تطرحها الرّواية وأحداثها من خلال مواضع عدّة تقصدها الشّخصيات، وهذا يدلّ عليه الرّاوي في بعض الأحيان بمفهوم فضاء واحد، وتارة أخرى يرد هذا الفضاء دلالة على أماكن فرعيّة ذات علاقة بالفضاء العام الرّوائي للرّواية بصفة عامة. ويبدو أنّ النقّاد اتفّقوا على مصطلح المكان المساوي للفضاء الحكائي على النّحو الآتي:

المكان/ الفضاء الحكائي.

المكان= الفضاء الحكائي.

ولكن يجدر أن نشير في هذا السّياق إلى أنّ "في الدّراسات الرّوائيّة اهتمّ دارسو الرّواية بدراسة عنصر المكان، ممّا نتج عنه مجموعة من المصطلحات الخاصة بدراسة هذا العنصر، مثل المكان الرّوائي والفضاء، والفضاء الجغرافي، والفضاء النصّي، والفضاء بوصفه منظورا".[2] وهذا ما يدفعنا لندّم ماهية المكان والفضاء كعنصرين يمتلكان طابعا ينفرد به الأوّل عن الثاني، فحسب أحد الدّارسين، "فقد آثر الدّارسين عنصر المكان في الرّواية استخدام مصطلح الفضاء الرّوائي عن مصطلح المكان الرّوائي، حيث وجدوا في الأوّل

[1]– عبد الله أبو صيف، "جماليات المكان في النّقد الأدبي العربي المعاصر"، مجلة جامعة تشرين للآداب والعلوم الإنسانية، مج 27، دب: 2005، ص 124.

[2]– حميد لحمداني، بنية النصّ السّردي، ط1. المركز الثّقافي العربي، بيروت: 1991، ص75–76.

شمولية أوسع لكونه يشمل المكان، فالمكان الرّوائي مكان بعينه تجري فيه أحداث الرّواية، بينما يشير الفضاء الرّوائي إلى المسرح الرّوائي بأكمله، ويكون المكان داخله جزءا منه".[1] وبهذا نقول إنّ الفضاء أوسع وأعم من مصطلح المكان ودلالته.

ولأنّنا سنشتغل على الفضاء الحكائي؛ أي المكان حسب ما أقرّه النقّاد الأدباء، سنحاول عرض أنواعه كما يأتي:

3-أنواع المكان:

أ- الأماكن المفتوحة:

تتّخذ الرّواية في عمومها أماكن مفتوحة على الطّبيعة تؤطّر بها الأحداث مكانيا، وتخضع هذه الأماكن على اختلافها بعرض الزّمن المتحكّم في شكلها الهندسي، وفي طبيعتها وفي أنواعها، "إذ تظهر فضاءات وتختلف أخرى وبالتّالي الأماكن المفتوحة هي مسرح لحركة الشّخصيات وتنقلاتهم".[2]

ويقصد بالمكان المفتوح "ذلك الفضاء من خلاله يخرج الإنسان إلى الطّبيعة الواسعة، فهو يمثّل حقيقة التّواصل مع الآخرين والحركة والتوسّع والانطلاق، فهي أماكن ذات ساحات هائلة توحي بالمجهول كالبحر والنّهر، وتوحي بالسّلبية كالمدينة أو مساحات متوسّطة كالحي".[3] ووفق هذا المفهوم، نرى أنّ المكان المفتوح نعني به ما يمكّن الإنسان من التّواصل مع الطّبيعة والأفراد الآخرين، من خلال أنّه ساحات واسعة تنشأ فيها هذه العلاقة كالشّارع والحيّ، والحدائق وغيرها من الأمكنة المفتوحة.

---

[1]- حميد لحمداني، بنية النصّ السّردي، ص62.

[2]- الشّريف حبيلة، بنية الخطاب الرّوائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، ص 190.

[3]- مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية منا حنا (حكاية بحار الدقل المرفأ البعيد)، ط1. منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، سوريا: 2011، ص 95.

يعرّفه (**عبد الحميد بورايو**)"المكان الذي تلتقي فيه أنواع مختلفة من البشر، ويزخر بأشكال متنوّعة من الحركة، فهو مساحة مفتوحة لا تحدّها حدود ضيقة".[1] فالأماكن المفتوحة تتجاوز كل محدّد أو مقيّد نحو التحرّر والاتّساع أي عكس الانغلاق، حيث يمكن أن تلتقي فيها أعداد مختلفة من البشر، وهي تزخر بالحركة والحياة وفي مثل هذه الأماكن يتحقّق التّواصل مع الآخرين، حيث تقضي على الشّعور بالعزلة والوحدة.

ويضيف أيضا قائلا في تفسير مفهوم الانفتاح: "ونقصد هنا بانفتاح الحيّز المكاني احتضانه لنوعيات مختلفة من البشر، وأشكال متنوّعة من الأحداث الرّوائية، وتتّصل هذه الأماكن المفتوحة بفضاءات محدودة وغير محدودة كالبحر، والغابة والصّحراء والشّوارع والجسور وهي بدورها توحي بالحرية والانطلاق والانسجام مع الذات".[2]ويعني الانفتاح هنا ذلك الحيّز المكاني المفتوح الذي يحمل طابع الحريّة، من خلال أنّها لا تحدّها حدود ضيّقة، أو تجعل منها أماكن يغيّر فيها الإنسان ما شاء، فهو ليس باستطاعته أن يحدّها، فهي أماكن اتّسمت بالانفتاح؛ لأنّها أماكن لم تتعرّض للتّشكيل الإنساني والتّحديد المادي، فلم تصل إليها يد الإنسان لصقلها وهندستها، فالمكان المفتوح هو "الذي يتردّد عليه الفرد من دون قيد أو شرط، مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي؛ أي ممارسة سلوك غير سوي برفض المجتمع للسّرقة والعدوانية، وهو عنصر أساسي تتحرّك من خلاله الشّخصيات الرّوائية، فضلا عن كونه عقيد الزمن الذي يتعامل معه الكاتب".[3] وتكون هذه الأماكن شديدة الانتماء إلى مجموعة كبيرة من النّاس والعكس في انتماء النّاس إليها، وهي "مفتوحة من جانب واحد شرط أن تكون مفتوحة من الأعلى، وإن هذا الانفتاح يعطي خصوصيّة كبيرة في

---

[1]– عبد الحميد بورايو، منطلق السّرد (دراسات في القصّة الجزائريّة الحديثة)، دط. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1997، ص 146.

[2]– المرجع نفسه، ص 148.

[3]– حسن فهد، المكان في الرّواية البحرينية، دراسة في ثلاثة روايات (الجدار، الحصار، أغنية الماء والنار)، فراديس للنشر والتّوزيع، ط1. البحرين: 2003، ص 60.

داخل الشّخصية، من خلال إضفائه الارتياح على روحها، على الرّغم من الحزن الذي يصيبها بفضل الطّرق الطّارئة، وتدخل ضمن الأماكن المفتوحة الطّرق والأسواق والحدائق والمدن والبساتين والصّحراء".[1] وهذا ما يطرح مجموعة علاقات قد تأخذ طابعا ترفيهيّا في كثير من جوانبها.

كما يقصد بالأماكن المفتوحة أنّها ذلك "الحيّز الخارجي لا تحدّده حدود سبقه ويكون غالبا لوحة طبيعيّة للهواء الطّلق، وكما يمتاز بأفقه الواسع الذي يرمي إلى الانفتاح الفكري والنّفسي فمثلا عن الاجتماعي".[2]كما أنّ "الأماكن المفتوحة حيّز مكاني خارجي لا تحدّده حدود ضيقة، يشكّل فضاء رحبا، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق".[3]، ونقول المفتوحة "لأنّها تكون مفتوحة على الخارج، أماكن اتّصال وحركة، حيث يتجلّى فيها بوضوح الانتقال والحركة، وتنقسم إلى مفتوح خاص وعام، إذ تمثّل هذه المجموعة كلّ أماكن الانتقال، وهي بالطّبع كل الأماكن المعادية لأماكن الإقامة، والتي تتسلّل معها أقساما جدليا بين الدّاخل والخارج، وإن كانت في حدّ ذاتها متفرّعة".[4]وتفرّعاتها هذه تقسّم الرّواية الدّلالية تّجاه هذه التّقسيمات.

ويضيف أحد الباحثين في السّياق نفسه "تكون الأماكن المفتوحة مسرحا لحركة الشّخصيات وتنقّلاتها، وتمثّل الفضاءات التي تجد فيها الشّخصيات نفسها كلمات غادرت أماكن إقامتها الثّابتة، مثل الشّوارع والأحياء والمحطّات وأماكن بقاء النّاس خارج بيوتهم

[1]– فهد منحي علي، علي أحمد باكثير وأدبه النّثري، (الرّواية التّاريخية أنموذجا) –دراسة فنّية–، رسالة مقدّمة لاستكمال درجة ماجستير، جامعة العواقبة، بغداد: 2011، ص 190.

[2]– إبراهيم جداري، الفضاء الرّوائي في أدب حبر إبراهيم حبرا، تموز للطّباعة، ط1. دمشق: 2013، ص 69.

[3]– وريدة عبود، المكان في القصّة القصيرة الجزائريّة التّربوية، دراسة بنيويّة لنفوس ثائرة، دط. دار الأمل، دب: 2009، ص 51.

[4]– حسن فهد، المكان في الروّاية البحرانية، ص 80.

كالمحلات والمقاهي".[1] وقد يلجأ البعض إلى تلك الأمكنة لتغيير حياتهم العلمية والاجتماعية المعتادة. حيث يلتقي فيه النّاس ويزخر بأشكال متنوّعة من الحركة، وإنّه يشمل الأحياء والشّوارع والسّاحات وغيرها، ويقول **(باشلار)** عن المكان المفتوح بالغابة، إذ يقول خاصة بفرض مساحتها التي تمتد لما لا نهاية، متجاوزة قناع جذور الأشجار وأوراقها، السّاحة المتحجّبة عن أعيننا، ولكنّها مفتوحة بالعقل".[2]والأمر الذي تجدر الإشارة إليه أنّه "تكمن أهميّة الأماكن المفتوحة من خلال ما تمدّ به الرّواية من تفاعلات وعلاقات تنشأ عند تردّد الشّخصية عند هذه الأماكن العامة، التي يرتادها الفرد وقت ما يشاء".[3] حيث تدلّ في محتواها حسب أحد الدّارسين عن أماكن لقضاء الوقت، فيذكر: "فهو محتوى للحديث القصصي والشّخصية، ويتفتح على الآخر مباشرة أو بعامل ما، فلا يكون مشيحا منغلقا على ذاته ولا يتحجّب بعوازل".[4] إذن للأماكن المفتوحة دور مهم وبارز في تطوّر الأحداث وحركة الأشخاص وصراعها، حيث تكون الأحداث فيها كثيرة مختارة بعناية خاصة، فالمكان المفتوح بكلّ ما يحتويه هو نقطة الاتّصال مع العالم، والتّواصل مع الآخرين، ويجمل الانفتاح فيه معاني البحث والاطّلاع والاكتشاف، والتأثّر بما يحيط بها من تيّارات ومنطلقات واختفائها.

ب- الأماكن المغلقة:

تمثّل الأماكن المغلقة أماكن إقامة الشّخصيات وتحرّكها، تحمل أهمّية كبيرة في الرّواية، حيث يستعملها الكاتب للإشارة إلى أبعاد يكتشفها القارئ، ويختارها الإنسان حسب ذوقه وشخصيته، ونعني بالمكان المغلق "مكان العيش والسّكن الذي يأوي الإنسان، يبقى فيه لفترات طويلة من الزّمن، سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطّر بالحدود الهندسيّة والجغرافيّة، يبرز الصّراع الدّائم والقائم بين المكان كعنصر فنّي، وبين الإنسان

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 19.

[2]- غاستون باشلار، جمالية المكان، ص 171.

[3]- حسن فهد، المكان في الرّواية البحرانية، (دراسة في ثلاثة روايات)، ص 90.

[4]- سمر محمد هايل البزلميط، الرّؤيا والتّشكيل في إبداع كولكيت الخوري، رسالة علمية، دط. دب: دت، ص 224.

السّاكن فيه، ولا يتوقّف هذا الصّراع إلّا إذا بدأ التّآلف يتّضح أو يتحقّق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه".[1] وهي بمعنى آخر "الأماكن التي تتميّز بالانسداد والضّيق والحدوديّة والانغلاق، نتيجة تسييجها كما يتّصف بالتّجديد، وهذا لا ينبغي انفتاحه على أماكن أخرى".[2] ونقصد بهذا المفهوم أنّ الأماكن المغلقة تكون أماكن ذات حدود وأبعاد ضيّقة تجعل منها مجرّد رفعة جغرافيّة صغيرة، يتواجد فيها الإنسان على العموم، كالمنزل مثلا، الذي يمثّل مجموعة من الغرف التي تحدّد بحدود يعيش فيها الإنسان، ويقوم بأعماله المختلفة متنقّلا فيه.

ويعرّفها **(الشّريف حبيلة)** "هي الفضاءات التي ينتقل بها الإنسان ويشكّلها حسب أفكاره، والشّكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطوّر عصره، وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح، وقد جعل الرّوائيون من هذه الأمكنة إطارا لأحداث قصصهم، ومحرّكا لشخصياتهم".[3] كما أنّ لهذا تأثير في حياة الإنسان، "فهي تبعث فيه إحساسا خاصا، حيث ينطوي فيها ليبعث فيه الأمل والمتعة".[4] والأمر الذي يشير إليه هذين التّعريفين أنّ المكان المغلق يعني الفضاء حسب قول الشريف حبيلة، وهذا الفضاء يمثّل مجموع تنقّلات الإنسان، يستغلّه الأديب في طرح أحداث الرّواية لتنشيط جمالية النصّ الذي لا بدّ أن يكون في الرّواية، فهو يعمل على تقديم وقائع النصّ الرّوائي في مواضع حدوثها وتنقّل الشّخصيات، ونشاطاتها التي تزيد من الرّواية إبداعا وتميّزا في الكتابة.

---

[1]– علي أيت أوشان، السّياق والنصّ الشّعري من البنية إلى القراءة، ط2. دار الثّقافة، الدّار البيضاء: 2000، ص166.

[2]– محبوبة محمدي محمّد آبادي، جمالية المكان في قصص سعيد حوارنيّة، دراسات في الأدب العربي، ط3. منشورات الهيئة السّوريّة للكتاب، دمشق: دت، ص53.

[3]– كلثوم مدفن، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة للطيّب صالح، مجلّة الأثر الجامعيّة، ورقلة: دت، ص05.

[4]– الشّريف حبيلة، بنية الخطاب الرّوائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، ص204.

كما نضيف القول إنّ "المكان المغلق هو المكان المحصور من خلال خلجات النّفس وتجليّاتها، وما يحيط بها من أحداث ووقائع".[1] باعتبار الأماكن المغلقة هي "التي تحدّها حدود من جوانبها الثّلاثة على أقلّ تقدير بشرط أن تكون لها حدود سقفيّة".[2] وهذه الأماكن تجعل من فيها منعزلا بعيدا عن الكلّ، ليس عنده ارتباط وخصوصيّة بالخارج، وهناك بعض الأماكن تفرض على النّاس التّواجد فيها لأسباب عدّة منها الحاجة كالبيت والمستشفيات والمصانع وغيرها.

فالأماكن المغلقة محصورة غالبا في حيّز فاء محدود المساحة، يرتاد إليها الشّخص إجباريّا أو اختياريّا، "فقد تكشف أحيانا الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدرا للخوف".[3] وذلك حسب رؤية الشّخص، ويقول **(باشلار)** عن المكان المغلق: "الوحدة المنغلقة داخل جدران لها أفكار مختلفة".[4] وبهذا الأساس يرى باشلار أنّ المكان المغلق يمتاز بالغموض والانغلاق، كما أنّها تختلف باختلاف المكان، من سجن وبيت... وغير هذا، كما نستطيع القول أنّه في المكان الواحد تختلف المشاعر والأفكار، فقد يجمل البيت مشاعر الرّاحة، كما قد يكون محملا بالذّكريات السيّئة، فالفضاء المغلق دلالة على الواقع المرير، والانغلاق على الذّات، وإحباط الإنسان في عدم قدرته على التّفاعل مع العالم الخارجي، كفضاء البيت الذي عن الألفة، والتي تتذكّرها مهما ابتعدنا عنها.[5] وتؤدّي الأماكن المغلقة دورا محوريّا في الرّواية، لأنّها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشّخصية الرّوائيّة، وتفاعل هذه الأمكنة المغلقة والأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها وتجلّياتها، فتغدوا هذه الأمكنة مليئة بالأفكار والذّكريات والآمال والتّرقيب، وحتى الخوف والتوجّس، فالأماكن المغلقة ماديا

[1]– شاكر النّبلسي، جمالية المكان في الرّواية العربيّة، ط1. دار الفارس، الأردن: 1992، ص30.

[2]– رحيم علي جمعة، المكان ودلالاته في الرّواية العراقيّة، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: 2003، ص147.

[3]– مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثيّة حنا مينا، ص43.

[4]– غاستون باشلار، جمالية المكان، ص162.

[5]– المرجع نفسه، ص09.

واجتماعيّا تولّد المشاعر المتناقضة المتضاربة النّفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليّا بين الرّغبات وبين الواقع.[1] وهذا ما يوضّح لنا الغرض من ورود الأماكن على اختلافها من أماكن مفتوحة ومغلقة، واستخدامها في الرّواية يأتي بهدف يسعى الرّاوي من خلاله إلى بيان علاقة الشّخصيات بالوقائع والفضاءات التي تؤطّر هذه الوقائع.

4-توظيف المكان في الرّواية:

أشرنا من قبل إلى أنّ المكان يمثّل إحدى أهمّ العناصر في العمل الرّوائي، ذلك باعتبار الدّور الهام الذي يأخذه بين كلّ ما يشكّل هذه الأعمال الرّوائيّة، لتحقيق بنية النصّ السّردية التي تتطلّبها الرّواية، ليبلغ الكاتب من خلالها ما يسعى إليه ككل، حيث "يمثّل المكان في الرّواية عنصرا مهمّا من عناصر السّرد الرّوائي، لأنّ المكان في كلّ ابعاده الواقعيّة والمتخيّلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالنصّ، وبكلّ ما يحويه من شخصيات وأزمنة وحوادث، وبما أنّ المكان عنصر يتميّز بخصوصيته وبوظائفه المتعدّدة التي تتحكّم في تكوين إطار الحدث، كما أنّها تساعد القارئ على التخيّل وتصوّر الأمكنة التي يعرضها الرّوائي، سواء كانت أمكنة مغلقة أم منفتحة ذات أبعاد سياسيّة أو اقتصاديّة أو اجتماعيّة أو فلسفيّة".[2]

والأمر الذي لا بدّ من ذكره في هذا المقام، أنّ العمل الرّوائي "لا يقدّم سوى مصحوب بجميع إحداثياته الزّمانية والمكانية، ومن دون وجود هذه المعطيات يستحيل على السّرد أن يؤدّي رسالته الحكائيّة".[3] وهذا ما يبرز لنا مدى ضرورة تفطّن صاحب الرّواية إلى أهمّية هذه العناصر، ودور كلّ واحدة منها في بناء وتشييد الرّواية، إذ هي أركان تقوم عليها بنية

[1]- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرّواية النّسائيّة الفلسطينيّة، ط1. منشورات مركز أوغاريت الثّقافي، فلسطين: 2007، ص134.

[2]- فاطمة الزّهراء عجوج، المكان ودلالته في الرّواية المغاربيّة المعاصرة، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، تخصّص الرّواية المغاربيّة والنّقد الجديد، إشراف: قادة عقاق، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعبّاس: 2018/2017، ص17.

[3]- حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، ص29.

النصّ، وتنقل من خلالها مضامين بحاجة إلى صياغة محكمة، وإبداعية تشير بشكل مفهوم إلى الغاية الأخيرة من هذه الأعمال الأدبيّة.

ونشير في هذا الصّدد، إلى أنّ الأهمّية التي يحظى بها المكان "في نظرية الأدب، وعدت إحدى الوحدات التّقليديّة الثّلاث، ولاطالما كانت مثار جدل في تحقيق العمل الأدبي والفنّي في المسرح بالدّرجة الأولى، ولم يتجاوزها منظّروا الأدب في العصر الحديث، بل صارت إلى ركيزة من ركائز الرّؤية وجماليتها في النّظريّة الأدبيّة الحديثة".[1]إذ إنّ "المكان هو الذي يتبنّى العناصر السّردية، ممّا يجعله إطارا جامعا للعناصر الفنيّة، بما فيها الحدث، ممّا يكسبه تلك الخصوصية والتفرديّة التي يمتاز بها عن غيره من العناصر الأخرى، لأنّه بمثابة مسرح للحدث في حدّ ذاته، فكلا منها يستلزم حضور الآخر".[2] وبهذا، فإنّ وجود المكان في النص من الأشياء الضّرورية تحقيقها.

تتمثّل أهمّية إيراد المكان وذكره في العمل الرّوائي في مظاهر عدّة تتميّز عن طريقها طريقة السّرد، ونمط كتابة الرّواية، حيث "إنّنا نستطيع أن نميّز بين الأشياء من خلال وضعها في المكان، كما نستطيع أن نحدّد الحوادث من خلال تاريخ وقوعها في الزّمان".[3] ومن هنا تتّضح العلاقة بين المكان وعناصر الرّواية الأخرى، بما فيها الزّمان، حيث إنّ الرّواية تتعامل مع عناصر ككلّ متكامل ينتج البنية السّردية التي تخضع لقواعد الحكي الضّروريّة تنظيمها في قالب روائي محكم الصّياغة، إذ تكون العلاقة بين هذه العناصر تكامليّة لنقول إنّها قد أدّت وظيفتها بشكل فعّال، وعليه فإنّ المكان ودراسته في النصّ الرّوائي "تعتبر نقطة ارتكاز مهمّة لمعرفة خلفيات النصّ الأدبي، ومقاربة جمالياته بعمق".[4]

---

[1]– عبد اللّه أبو هيف، "جماليات المكان في النّقد العربي المعاصر"، مجلّة جامعة تشرين للدّراسات والبحوث العلميّة، سلسلة الأدب والعلوم الإنسانيّة، مج21، ع1، دب: 2005، ص123.

[2]– فاطمة الزّهراء عجوج، المكان ودلالته في الرّواية المغاربيّة المعاصرة، ص20.

[3]– سيزا قاسم، بناء الرّواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، دط. الهيئة المصريّة للكتاب، دب: 1984، ص59.

[4]– قادة عقاق، جماليات المكان في الشّعر العربي المعاصر، جدل المكان والزّمان، دط. دار الغرب: 2000، ص89.

وهذا "لأنّ المكان في النصّ الرّوائي يتجاوز كونه مجرّد شيء صامت أو خلفيّة تقع عليها أحداث الرّواية، فهو عنصر غالب في الرّواية حامل لدلالة، ويمثّل محورا أساسيّا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرّواية، لذا يرى البعض أنّ العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتّالي أصالته".[1]

يتعمّد الرّوائي استعمال المكان في نصوصه الأدبيّة "بغية البرهنة على العلاقة بين المكان والشّخصية في النصّ الرّوائي، كما أنّ اختلاف هذه الصّفات وتنوّعها من مكان إلى آخر في الفضاء الرّوائي يمكن أن يعكس لنا الفروق الاجتماعيّة والنّفسية والإيديولوجيّة لدى شخوص الرّواية، هذا فضلا على أنّ الدّلالات النّابعة من هذه الفروق يمكن أن تكون تعبيرا عن رؤية شخوص الرّواية للعالم وموقفهم منه، كما قد نكشف عن الوضع النّفسي للشّخوص وحياتهم اللّاشعوريّة، بحيث يصير للمكان بعد نفسي يسبر أغوار النّفس البشريّة، عاكسا ما يثيره المكان من انفعال سلبي أو إيجابي في نفس الحال فيه".[2] ويمكن لنا أن نضيف في السّياق نفسه: "يتمثّل التّوظيف الحقيقي الذي يحوي جوهر الإبداع الفنّي لأيّ نص روائي في استطاعة خلق الرّاوي "علاقة لغويّة متولّدة تتمتّع بخصوصيتها من السّياق والموضوع داخل النصّ".[3] وهذا يكون عن طريق "احتواء المكان الواحد لمفردات مختلفة، تشكّل تفاصيله وجزئياته تتبلور لوحة غاية في التّركيب قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى، بيد أنّ تواجدها في السّياق الرّوائي يحوّلها إلى رموز يصبح معها كلّ شيء موظّفا وحتى يبدو هامشيا يؤدّي وظيفته في إطار هامشيته".[4] حيث تكون هذه الرّموز تتكفّل بصياغة النصّ كما يشير أحد

[1]– غاستون باشلار، جماليات المكان، ص05–06.

[2]– مصطفى الشّبع، استراتيجيّة المكان، دط. الهيئة العامة لقصور الثّقافة، القاهرة: 1998، ص60.

[3]– مدحت الجيار، "جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصّبور"، مجلّة البلاغة المقارنة، ع06، الجامعة الأمريكيّة، القاهرة: 1986، ص40.

[4]– عثمان بدري، بناء الشّخصية الرّئيسيّة في روايات نجيب محفوظ، ط1. دار الحداثة، بيروت: 1986، ص175.

الباحثين إلى هذا قائلا: "وهذه الرّموز تعيد تشكيل أدبيّة الرّواية، وتجسّد الرّؤية وتؤسّس جماليات جديدة".[1]

يذكر أحد الدّارسين قائلا: "والمكان باعتباره عنصرا من عناصر الرّواية، له دور فعّال في النصّ الرّوائي، إذ قد يتحوّل من مجرّد خلفيّة تقع عليها أحداث الرّواية إلى عنصر تشكيلي من عناصر العمل الرّوائي، فالمكان له دور مكمّل لدور الزّمان في تحديد دلالة الرّواية، كما أنّ له أهمّية كبرى في تأطير المادة الحكائيّة وتنظيم الأحداث، إذ يرتبط بخطّية الأحداث السّردية، بحيث يمكن القول بأنّه يشكّل المسار الذي يسلكه تجاه السّرد، وهذا التّلازم في العلاقة بين المكان والحدث هو الذي يعطي للرّواية تماسكها وانسجامها، ويقرّر الاتّجاه الذي يأخذه السّرد لتشييد خطابه، ومن ثمّ يصبح التّنظيم الدرامي للحدث هو إحدى المهام الرّئيسيّة للمكان".[2] حيث "يمكن النّظر إلى المكان الرّوائي على أنّه بؤرة تجتمع فيها شبكة من العلاقات التي تجتمع بين عناصر الرّواية المخلفة، ومن ثمّ يصبح المكان عنصرا غير زائد في الرّواية، إذ يتّخذ أشكالا ويتضمّن معاني عديدة، بل إنّه يكون في بعض الأحيان الهدف من وجود العمل كلّه، ويكون منظّما بنفس الدقّة التي تنظّم بها العناصر الأخرى في الرّواية، لذلك فهو يؤثّر فيها ويقوّي من نفوذها".[3]

ومن هذا كلّه، نخلص للقول إنّ ورود المكان في العمل الرّوائي لا يأتي مجرّد صدفة، إنّما من حسن تنسيق الرّاوي لسطوره، حيث لا بدّ من صياغة الأفكار وما يسعى إليه وفق متطلّبات عناصر الرّواية، لألّا يبدو العمل ناقصا من نواحي التّركيب والانسجام وغير ذلك، فبالدّور الذي يؤدّيه المكان في سرد أحداث هذه النّصوص، يكون الرّاوي على ضرورة باحترام العلاقة بين هذه المكوّنات، وما يؤدّيه كلّ عنصر في تشكيل النصّ بأكمله.

---

[1]– أمينة رشيد، تشظي الزّمن في الرّواية الحديثة، دط. الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة: 1998، ص148.

[2]– حسن بحراوي، بنية النصّ الرّوائي، ص20–29–30.

[3]– مصطفى الضّبع، استراتيجيّة المكان، ص151.

الفصل الثّاني: دراسة المكان في الرّواية

1- دراسة الأماكن المغلقة في الرّواية.

2- دراسة الأماكن المفتوحة في الرّواية.

- **الأماكن المغلقة:** تعدّدت الأماكن المغلقة في الرّواية، ونحن ركّزنا على بعضها منها:

1- أماكن مغلقة اجتماعيّة:

1-1-**السّجن: (كبح الحرّيات):** "يمثّل السّجن مكانا يعلن عنى العدائيّة والقيد ضدّ الشّخصية، من خلال ضيقه وظلمته وبرودته، وإذا كانت حريّة الإنسان هي جوهر وجوده، والقيمة الإنسانيّة لحياته، فإنّ السّجن هو استلاب لهذه الحريّة، وبالتّالي فهو استلاب للوجود وإهدار للحياة ".[1]

كما يشكّل السّجن عند **(حسن بحراوي)** "نقطة انطلاق من الخارج إلى الدّاخل، ومن العالم إلى الذّات بالنّسبة للنّزيل، بما يتضمّنه ذلك الانتقال من تحوّل إلى القيم والعادات وراء عالم الحريّة".[2]

يمثّل السّجن في الرّواية تجريدا للإنسان لأبسط حقوقه، فهو يعبّر عن الظّلم والقهر والاستبداد، وقد وظّف عندما ألقى الملازم ديلافو القبض على رجل لم يقم بتحيّته، وهذا ما تجلّى في المقطع التّالي: "لقد أدخل رجلا السّجن، لأنّه لم يقم بتحيّته، وما سيدخلني الحبس لأنّي أمشي حافيا".[3] وفي موقف آخر، عندما ألقوا القبض على ابن سعود لأنّه رفض تسخير ناقته للضّابط، وقد ورد ذلك في الرّواية في قول المحقّق: "أرسلناه إلى السّجن للتعوّد على احترام النّظام".[4] بما أنّه رفض تسخير ناقته للضّابط كونها مريضة، اعتبر ذلك تمرّدا وعدم احترام النّظام، فطالب بسجنه.

---

[1]- مصطفى التواتي، دراسة في رواية نجيب محفوظ، ط3. دار العراق، بيروت: ص107-108.

[2]- حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي، ص55.

[3]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ط1. دار التّنوير، الجزائر: 2013، ص50.

[4]- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

وقد وظّف السّجن في الرّواية أيضا، عندما ألقى القبض على عبد القادر، لأنّه قام بقتل الضّابط ديلافو، وتحرّر من عاره، وورد ذلك في قول الرّاوي: "ألقى القبض على عبد القادر، وأونغو معصمه، وتحرّر من عاره وقتل ديلافو الخنزير".[1]

كان عبد القادر يعلم ما ينتظره، لكن شهامته لم تتركه يستسلم، ولم يقبل بما فعلوه بتسعديث، فقرّر الانتقام منه، وقتله عن رضى، وقد ورد ذلك في الرّواية حيث يقول الرّاوي: "أخذ عبد القادر إلى السّجن، واستسلم فيه لقدره راضيا بقضائه، متحبسا مصيره إلى المكتوب في زنزانته، يجلس على الأرض، يطوي ذراعيه، يكسو وجهه الحزن".[2]

لم يختلف السّجن في رواية عرائس الرّمل عن السّجن في الواقع، فهو مكان تقتل فيه الأحلام، ومكان للخوف والعجز والظّلام والظّلم والقهر، فالمكان مظلم وعفن ومرعب ومفزع، كما أنّه إجباري ينتقل إليه الشّخص من الحياة الطّبيعيّة العادية إلى عالم يخلو من كلّ أشكال الحريّة، فالمستعمر الفرنسي كان ينظر إلى الشّعب الجزائري نظرة سيّد إلى عبده، وبالتّالي أيّة محاولة للمتمرّد تكون النّهاية السّجن.

1-2-المقهى (مكان الالتقاء):

هو من الأمكنة التي يقصدها النّاس كثيرا، والتي تعكس الواقع وتشهد حركة انتقال الأشخاص التي لا تعرف التوقّف، حيث يعرّفه (النّابلسي) قائلا: "ثورة اجتماعية لها دلالتها الخاصة في الرّواية العربيّة التي وجدت هذا المكان علامة على الانفتاح الاجتماعي والثّقافي أنموذجا مصغّرا".[3] والذي يأتي النّاس إليه من مختلف شرائح المجتمع، بتعدّد الفئات العمرية لتبادل الأحاديث والنّقاشات والمواقف المختلفة.

---

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص55.

[2]- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]- شاكر النّابلسي، جمالية المكان في الرّواية العربيّة، ط1. المؤسّسة العربيّة للدّراسات، بيروت: 1994، ص50.

وقد ظهر المقهى في الرّواية على أنّه مكان للاستراحة، ذلك في قول الرّاوي: "يجلس البدو في المقاهي العربيّة القريبة، يرتشفون الشّاي ويتبادلون الأحاديث والضّحكات".[1] حيث يعد المقهى فضاء محبوبا ومألوفا يستقطب عامة النّاس، على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم، ويمكن اعتباره مكانا أساسيّا بالرّغم من صغر هذا الفضاء السّردي المتعلّق به، وقد جاء في الرّواية كمكان لالتقاء النّاس بكثرة.

1-3-البيت (مكان الاستقرار):

يعتبر البيت إحدى الأماكن المغلقة بالنّسبة للمجتمع، ومكانا مفتوحا بالنّسبة للشّخصية التي تسكنه، فمن خلاله تصبّ ألمها وفرحها وحزنها، وتترجم فيه عن كافة ما يختلجها من مشاعر، وهو من أهمّ ما يمثّل حياتنا باعتباره المكان الأوّل والأخير الذي نلجأ إليه، والمكان الحامل للذّكريات سواء ما تعلّق بالطّفولة أم غير ذلك، كما سمّاه غاستون باشلار "مكاننا الطّفولي".[2]

وقد شغل البيت حيّزا مهمّا في حياة الإنسان، فهو ملجأ كلّ فرد بعد يوم طويل من الشّقاء والتّعب والعناء، يجد فيه الرّاحة والهدوء والسّكون، وقد تتعدّد المصطلحات التي تطلق عليها، كالبيت والمنزل والدّار والشقّة... وغيرها من الأسماء، إلّا أنّ هذا لا يمنعنا أن نقول إنّها من الأشياء التي يلقى الفرد نفسه فيها مرتاحا وهادئا.

يمثّل البيت في الرّواية فضاء مهمّا، كون الصّحفية إيزابيل استقرّت في أماكن مختلفة في الجزائر، وانتقلت بين مدنها وبلدانها شمالا وجنوبا، حيث نجد البيوت حاضرة في أوّل الرّواية عند وصول إيزابيل إلى مدينة الوادي، قام بوصف بيوت هذه المدينة الجميلة وذلك

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص117.

[2]- غاستون باشلار، جمالية المكان، ص115.

في قولها: "بيوتات متواضعة ومتلاصقة، منحنية في سكون، تحمل فيابها ذات الألوان الباهتة والفاترة".[1]

كما نجد أنّ إيزابيل عند وصولها إلى مدينة الوادي، قامت باستلام بيت رماجي جدي لتسكن فيه، وكان عبارة عن غرفتين متداخلتين، وقد كان بيتها الجديد بين الصّحراويين الذين أحبّتهم لأوّل لحظة، فقامت بإعطاء رسم فنّي لكلّ معالم البيت، فقالت: "الأعلى تواضع البيت يبدو أليفا، تنفتح نوافذه على الأزقّة الرّملية الصّاخبة بين البيوت المتلاصقة، ليست بعيدة عن مسجد السّوق".[2]

بعدها قامت إيزابيل بكراء بيت في عين الصّفراء، الذي كان عبارة عن بيت حجري داخل حي شعبي رملي الأزقّة، يحوي غرفتين متقابلتين ومطبخا، حيث بدأت تصفه قائلة: "كان البيت العربي المبني بالحجر والطّوب في غاية الألفة، له نافذة تطلّ على أحد الشّوارع قبالة ضريح على شكل قبّة".[3]

ومن خلال وصف إيزابيل للبيوت التي عاشت واستقرّت فيها، نجد أنّها تصوغ معنى الانفتاح وبساطة الحياة، حيث إنّه المكان الذي من خلاله تعبّر الشّخصية فيها عن فرحها وسعادتها، وكذا حزنها وألمها، وقد شكّل كلّ هذا في الرّواية جمالية أعطتها متنفّسا آخر يبدو من خلاله المحتوى مليئا بالرّوح والحيويّة، وكذا الأمن والاستقرار، فبالرّغم من تلاصق البيوت والتي تحجب الرّؤية، وتسبّب ذلك القلق، إلّا أنّ هذا الالتصاق لا يؤثّر على إيزابيل، إذ كانت تلجأ إلى سطح البيت من أجل تأمّل جبال المنطقة التي تسكنها.

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص20.

[2]- المصدر نفسه، ص29.

[3]- المصدر نفسه، ص125.

1-4-الزّاوية (مكان السّكينة):

من المعروف أنّ "الإنسان يبحث دائما عن المكان المقدّس، فهو يسعى دائما للعيش في سكينة مع خالقه، ولا يتسنّى له ذلك غلّا من خلال بعض الأمكنة التي تمكّنه من العبور ‘لى العالم السّفلي إلى المعالم العلوى ذلك العالم الظّاهر المقدّس".[1]

وظّف الرّاوي كلمة الزّاوية في الرّواية حيث قال: "لم يكن غريبا على فتاة عاشت في الزّاوية وحفظت القرآن الكريم، وتمرسّت على الفقه الملكي وقراءة الأشعار والأوراد".[2] فالزّاوية هي منارة لتلقين القرآن الكريم وعلوم الدّين، كما لها جانب مضيء من الحضارة الإسلامية في صحراء الجزائر، كما اتّخذت الزّاوية أيضا مكانا يخطّط له للحرب والمقاومات الشّعبية ولها دور كبير في كلّ هذا، كما جاء على لسان الرّاوي: "أرى أن نجتمع من شيوخ القبائل وأئمّة الزّوايا لنهدئ الأوضاع، أنتم تعرفون أخبار المقاومات هنا وهناك، وكلّما قامت واحدة قامت الأخرى".[3] فأغلب المقاومات الشّعبيّة تخرج من الزّاوية وأماكن تعليم القرآن.

اتّخذت إيزابيل الزّاوية مكانا ترتاح فيه لأيّام، ومن بين ما ذكر في الرّواية (زاوية بني ونيف) في: "في صيف 1903، بقيت إيزابيل أيّاما في زاوية بني ونيف، زاوية عتيقة بناها أستاذ بوعمامة الشّيخ سليمان بوسماحة".[4] وكذا الزّاوية الموجودة في القنادسة في حني (الملاح اليهودي)، حيث وصفت إيزابيل هذا المكان "ثمّ الهلالبة والمقابض المعدنيّة الخشنة".[5] فقد أقامت إيزابيل بضعة أيّام في هذه الزّاوية، ما جعلها تتنقّل بينها وتتعرّف على

---

[1]- بليلي عواطف، حديد صالح، "رمزية المكان الصّحرواي في الرّواية العربيّة رواية الدّراويش مودوت إلى المنفى لإبراهيم الدّرغوني أنموذجا"، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، مج09، ع05، جامعة تمنغاس: 2020، ص364-377.

[2]- محمّد حسن مرين، ص203.

[3]- المصدر نفسه، ص73.

[4]- المصدر نفسه، ص167.

[5]- المصدر نفسه، ص187.

بعض من الطلّاب الموهوبين، كما تعرّفت على عدّة مشايخ الذين كان لهم الأثر الفعّال على سكّان الصّحراء.

ونجد أنّ فضاء الرّواية من حيث الزّاوية فضاء مشعّا بالإيمان وعلوم الدّين، حيث تعدّدت وظائفها من مكان للشّعائر الدّينية وممارسة الطّقوس والتّخطيط للحرب، إلى مكان للإيواء للفقراء والمساكين، حيث كانت إيزابيل لا تذكر الزّاوية إلّا وذكرت معها الطّمأنينة والسّكينة، وقد اعتبرتها ملجأ للاستراحة.

1-5-الخيام (المأوى):

تستعمل هذه الخيام في المناطق الصّحراوية منذ آلاف السّنين، إذ تعكس الخيام نمطا معيشيا معيّنا، وهنا نقصد حياة البدو، فالخيام تمثّل مأوى يقيهم من حرارة الشّمس، والرّمل، وكذلك من الشّتاء لحمايتهم من الرياح الباردة والأمطار.

وقد عبّرت إيزابيل عن الخيمة على أنّها المأوى، في قولها "قضينا شطر اللّيل في تلك الخيمة مع ذينك الرّاعيين".[1] وأضافت قائلة "فبلا أن تفزعنا العاصفة الرّملية الشّديدة، وصول القطيع نحونا ضق الفزع، حيث اقتحم مكاني جدى سارد اشتركت برنوسي معه".[2] وهنا يبرز أنّ الخيمة من أهمّ الأمكنة التي قصدتها إيزابيل حين شعرت بالخطر.

كما عبّرت عنها أيضا كرمز للتّعاون وتجسيد العلاقات الاجتماعيّة قائلة: "وفي الصّباح هدأت العاصفة، كأنّها لم تكن، فقمنا بنفض الغبار والأتربة التي علت الخيمة، ونصبناها من جديد، وأعددنا قهوى الصباح والحليب السّاخن الذيب، في أنبة قصديريّة".[3] فعلى الرّغم من الوقت الطّويل الذي تأخذه بناء الخيمة، إلّا أنّ بفضل تعاونهم مع بعضهم، يتمكّنون من

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص82.

[2]- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص160.

بنائها في وقت وجيز، من ثمّ يجمعون لشرب الحليب السّاخن وتناول فطور الصّباح، وهذا ما يقدّم لنا صورة الأسرة في الخيمة.

كما جاء ذكر الخيمة في موضع آخر في الرّواية، على أنّها مأوى للجرحى فيقول الرّاوي: "سحبت إلى خيمة واسعة يتمدّد فيها مجموعة من الجرحى المنطوين على وجوههم وأناتهم".[1] حيث تبرز الخيمة هنا بموضع المستشفى.

وقد أدّت الخيمة في رواية عرائس الرّمل دورا بارزا في كلّ ما كان يقام فيها من أعمال، فعلى الرّغم من شكلها البسيط إلّا أنّها تفيد المجتمع الصّحرواي على أداء جملة من المهام، كما أنّها عبارة عن مأوى لهم، ورمز من رموز التّراث الذي ميّز البدو الرّحل وسكّان الصّحراء.

1-6-المسجد (مكان العبادة):

يعتبر المسجد ضمن الفضاءات الضّيقة الخاصة بالمصلّين، وهو المكان الجوهري الذي يعبّر عن صدق الإنسان، ويعدّ رمزا للمسلمين في جميع أنحاء العالم، كدار للعبادة والتقرّب من اللّه تعالى وأداء فريضة الصّلاة بالدّعاء وغير ذلك من العبادات.

وقد ذكر الرّاوي المسجد في روايته في أطور كثيرة من بينها "مسجد إفريقي صغير، أبيض اللّون، قصير السّور وساحة مفروشة بالرّمل، تتوسّطها نخلات ملوّحات بالحريد الأخضر".[2] إذ وصف الرّاوي المسجد وصفا دقيقا، وذلك بالتّركيز على أدقّ التّفاصيل من فرش وأشجار وغير ذلك.

[1]-محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، 160.

[2]- المصدر نفسه، ص24.

يعدّ المسجد أو الجامع كما يصطلح عليه مكانا مقدّسا يستخدم للعبادة، وهو مكان اجتماعي يلتقي فيه النّاس لأداة الصّلوات، ومختلف الطّقوس الدّينيّة وهو يوحي بالالتزام بالدّين الإسلامي، وهذا ما نجده في رواية عرائس الرّمل، إذ يتكرّر ذكر المسجد في مرّات عدّة بين سطورها، وإن دلّ على شيء فهو يدل على حرص سكّان الصّحراء على أداء الفرائض الدّينية وتمسّكهم بالوازع الدّيني ومكانة في حياتهم اليوميّة.

1-7-المستشفى (مكان لاسترجاع الذّكريات):

هو فضاء مغلق ومحدود، يوحي إلى المرض والعلاج والتّداوي من الآلام وغير ذلك، حيث جاء في رواية عرائس الرّمل دلالة على الخطر والألم والإصابة، "نقلت إيزابيل إلى المستشفى العسكري على نقلة تحت سماء الشّتاء في رحلة تشبه موكبا جنائزيا".[1] وكان بالنّسبة لها عودة من الموت.

كما ذكر في موضع آخر، عندما ذهبت إيزابيل إلى المستشفى طالبة يد المساعدة من الطّبيب لأخذ المزيد من الدّواء لمعالجة الأهالي من الوباء الذي انتشر، ويذكر الرّاوي: "انعكفت نحو المستشفى العسكري الوحيد... درجت مع بوابته وأرجت إلى واقة دكتور أنا بحاجة على يد المساعدة".[2] كما جاء في قول آخر في الصّفحات الأخيرة من الرّواية، عند وصول إيزابيل إلى عين الصّفراء، ودخولها إلى المستشفى واسترجاع ذكرى محاولة اغتيالها في واد السوف "كنت متعبة ومريضة، كان عليّ أن أدخل المستشفى، تلك البناية الكئيبة تذكّرني بمستشفى واد السوف".[3]

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص89.

[2]- المصدر نفسه، ص69.

[3]- المصدر نفسه، ص222.

حيث مثّل المستشفى في رواية عرائس الرّمل مأوى للإسعاف، وقد كان هذا الفضاء بالنّسبة لإيزابيل المكان الذي أعاد غليها ذكريات حزينة من جهة، وحياتها من جهة أخرى.

1-8-الغرفة (مكان اللّجوء):

تعد الغرفة مكانا اختياريّا يختاره الإنسان للعيش فيه، ويمثّل جزءا من البيت، كجزء مظلم محصور يتّسم بالمحدودية والانغلاق، إلا أنّ الإنسان يشعر فيها بالرّاحة والطّمأنينة والاستقرار، ويسترجع فيها ذكرياته سواء كانت سعيدة أم حزينة، كما أنّها توحي بالسّكينة والهدوء والوقاية من كلّ المخاطر والمظالم، فهي تحفظ أسرار صاحباها، وتساعده على الشّعور بالأمان.

ونجد توظيفا للغرفة في الرّواية في مواضع عدّة، من بينها حين صدر الأمر بنقل زوج إيزابيل (سليمان) إلى باتنة، فقد حزنا بهذا القرار القاسي، حيث ورد هذا في قول الرّاوي: "عندما اجتمعا إلى غرفتهما البيضاء، على سريرهما لم يملكا سوى الدّموع ومعانقة بعضهما البعض".[1] حيث تمثّل الغرفة في هذا المقام مكانا للتّعبير عن الحزن والألم الذي انتاب كلاهما.

كما نجد في الرّواية توظيفا آخر للغرفة، على أنّه مكان للألم أيضا، عندما تعرّضت إيزابيل لضربة من عبد اللّه بن لخضر، وأصاب ذراعها الأيسر وراسها، ونقلوها على المستشفى، وكانت ترى تلك الغرفة محزنة ومظلمة، ويتّضح ذلك في فولها: "لم نجد سوى كلمات الشّهادة داخل هذه الغرفة، لتحصن نفسها من وسواس الألم".[2]

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص76.

[2]- المصدر نفسه، ص90.

كما يمثّل هذا الفضاء المغلق المكان الذي تلجأ إليه إيزابيل عند كتابة مقالاتها، وكتاباتها المتعاطفة مع السكّان، يقول الرّاوي: "عادت إلى غرفتها وانكبّت على كتابة مقال لجريدة (ديباس ألجريان)، تسرد فيها روايتها لحداثة البهيمة".[1] ما يوضّح لجوء إيزابيل إلى هذا النّوع من الأمكنة لممارسة الكتابة، باعتباره مكانا هادئا يساعدها على ذلك.

كما يمثّل هذا المكان في الرّواية مكانا لاسترجاع الذّكريات، وقد ورد ذلك في قول الرّاوي: "أوت إلى الفراش، مع خواطر السّوق، عسى سليمان بأسرها، وتطرد النّوم عليها".[2] فكانت الغرفة بالنّسبة لإيزابيل مكانا لاسترجاع تلك الذّكريات الجميلة التي جمعتها مع زوجها سليمان في الغرفة.

وقد جاء وصف للغرفة في الرّواية، حيث تصفها إيزابيل قائلة: "انعطفت يمينا، ولحنا غرفة مستطيلة، مفروشة بزرابي وحوائج من الصّوف ملوّنة، بقلب عليها اللّون الأرجواني".[3] وهنا يظهر إعجاب لإيزابيل بتلك الغرفة، ما يوجد فيها، لذا قامت بوصفها وصفا دقيقا.

يوحي فضاء الغرفة في الرّواية إلى السّكينة والهدوء، فالغرفة هو المكان الذي تلجأ إليه إيزابيل أثناء حزنها وفرحها، أو حتّى لممارسة كتاباتها كما سبق لنا أن ذكرنا، وبهذا فالغرفة تؤدّي دورها الهام في رواية عرائس الرّمل من حيث أنّها مكان لاسترجاع ما فات من ذكريات جميلة، والاحتماء والشّعور بالرّاحة والهدوء، وكذا مكان للآلام والأحزان والأوجاع التي تنتاب إيزابيل، فحبّها للحرّية والصّفاء والبعد عن مدن الصّخب والكآبة جعل إيزابيل تستهوي غرف الصّحراء والمدن الجزائريّة، كونها تتّسم بكلّ هذه المواصفات، خاصة الهدوء والسّكينة، فالغرفة تعتبر المكان الذي يرتاح فيه الإنسان هروبا من مشاغب الدّنيا، وتمثّل بوّابة استرجاع الذّكريات التي تجعل الإنسان يعود إلى نفسه من أجل محاسبتها.

---

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص96.

[2]- المصدر نفسه، ص96.

[3]- المصدر نفسه، ص107.

1-9-المكتب (إخراج التّقارير الظّالمة):

هو عبارة عن غرفة أو مساحة أخرى يقوم النّاس فيه بأداء وظائف مختلفة، كمكان يقدّم مجموعة من الأعمال والوظائف، فهو يدلّ على وظيفة منظّمة وموقع يعمل فيه الشّخص مهام عمله، وقد ذكر المكتب في عدّة مورات في رواية عرائس الرّمل، حيث ساهم في تشكيل أحداث الرّاوية نظرا للدّور الذي أدّاه فيها تبعا للوقائع، حيث جاء ذكر بأسماء عدّة من بينها المكتب مكان أساسي تتّخذ فيه القرارات، سواء كانت عادلة أم ظالمة.

وقد جاء ذكره في الرّواية في قول الرّاوي أثناء الحديث عن أنّ المكتب كان المكان الذي تخرج فيه التّقارير الظّالمة، كقرار نفي إيزابيل إلى باتنة، والحكم عليها، بإبعادها من واد السوف، وذلك لتطبيق العقوبة عليها، "في الصّباح الموالي، كان التّقيري من مكتب النّقيب كوفي حول إيزابيل الذي ختمه وأرسله إلى الرّائد بوجا".[1] وقد اعتبرت إيزابيل المكان كبحا لحريّتها، وقصّا لجناحيها بفرض الحواجز عليها.

1-10- المطبخ (مكان مخصّص للطّبخ):

هو عبارة عن حيّز حرافي من أربعة جدران، يعتبر من أساسيات البيوت، بل إنّه لبّ كلّ بيت يستعمل خصّيصا للطّبخ وتحضير الطّعام والأكل، يحتوي على مجموعة من الأدوات المهمّة، منها الأواني والملاعق، والسّكاكين والفرن وغيرها، التي يستخدمها الإنسان من أجل تحضير قوته اليومي، الذي يمدّ جسمه الطّاقة والحيويّة.

ويذكر الكاتب المطبخ في جزيئيات قليلة من الرّواية، حيث ينقل الرّاوي على لسان إيزابيل: "كان بيتي الجديد عبارة عن غرفتين متقابلتين، ومطبخ منفصل".[2] والأمر الذي لا بدّ

[1]- محمد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص47.

[2]- المصدر نفسه، ص87.

من ذكره في هذا السّياق، هو أنّ ورود المطبخ بصفة قليلة في الرّواية يعود على أنّ إيزابيل قليلة الطّبخ، لكثرة تنقّلاتها المخلفة، وترحالها وعدم استقرارها في مكان لمدّة طويلة.

1-11- المطعم (مكان الاستراحة وتقديم الطّعام):

هو فضاء مغلق، يشهد حركة انتقال النّاس، وهو مكان لتقديم المأكولات والمشروبات للزّبائن، ويتم تشغيل المطاعم قديما على جوانب طريق السّفر، ليتمكّن المسافرون من التوقّف للرّاحة، واستعادة حيويتهم، أمّا اليوم، فالمطاعم تكاد أن تكون في كلّ مكان.

وقد قامت إيزابيل بذكر المطعم خلال استراحتها في الطّريق مع معمر، الذي هز ذو خبرة في السّفر والتّجارة، ومن جيلالي الذي يتم بالشّجاعة والعزم، فهم الذين قاموا برفقتها في رحلتها إلى الجنوب (القنادسة)، وكان ذلك المطعم موجودا في منطقة (بن يرق)، وقد ورد هذا في قول الرّاوي: "عند منتصف الطّريق، مجموعة من الأكواخ الحجريّة المتواضعة، ومقهى عربي ومطعم إسباني صغير".[1]

1-12- غرفة المسافرين (محطّة الانتظار):

هي عبارة عن دار خاصة معزولة عن الطّرق مبنية من الاسمنت، لا تحتوي على بابن يلجأ إليها العديد من النّاس المسافرين للوقاية من حرّ الشّمس، وبرد الشّتاء منتظرين فيها وصول الحافلات أو القطارات، لنقلهم من مكان معيّن إلى مكان آخر يودّون الذّهاب إليه.

وقد ذكر الكاتب في رواية عرائس الرّمل وصفا لتلك الغرفة على لسان إيزابيل قائلا: "انعطفنا يسارا خلف الملاح، أين تتطرّق غرفة طويلة بها كرة في السّطح... فيه حيطان ناحلة تظهر عليها شقوق مثل الخدوش".[2] وتعدّ هذه الغرفة في الرّواية المكان الذي يرتاح فيه المسافرون، من خلال شرب الشّاي وغير ذلك، وهو من الفضاءات التي تشهد حركة

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص176.

[2]- المصدر نفسه، ص191.

كبيرة في انتقال النّاس، ولكن محطّة بني ونيف المكتظّة لا تمثّل ذلك بل العكس، (محطّة مكتظّة موحشة)، حيث تعتبرها إيزابيل مكانا موحشا تفوح منه رائحة الموت، يقول الرّاوي: "عند محطّة بني ونيف المكتظّة بعربات القطار السّوداء، بين أشجار السّرو ودخان القطار وأحصنة وبغال، تحمل الملح أكياسا منتفخة بالبضائع".[1]

وقد كان دور المحطّة في المدوّنة في صورته العامة عكس ما هو متداول عليه في الأوّل، على أنّه مكان للرّاحة وشرب الشّاي، إنّما غرفة المسافرين في بني ونيف مكان موحش يتهرّب السكّان منه بعدم الانتظار فيه.

- **الأماكن المفتوحة:** كما كان للأماكن المفتوحة حضورا كبيرا في الرّواية، من أهمّها نجد:
- **الصّحراء:**

تعدّ الصّحراء عالم اللاواقع عالما أسطوريا روحيا، يؤمن بالأصل والأساس لمنبع الإنسان، لتمسكّه بالعادات والتّقاليد، "الصّحراء عمق ثقافي ومعتقدي لأبناء المنطقة العربيّة".[2]

إنّ التّركيب الجغرافي للفضاء الصّحراوي يتمثّل في شساعة الفضاء المكاني للصّحراء وقسوة مناخها، كحرقة الشّمس ونميّزها بالكثبان الرّملية، أدّى بسكّانها إلى الضّياع والجفاف والقحط، وعلى الرّغم من هذه الظّروف الطّبيعيّة القاسية والعوامل الصّعبة عاش العربي فيها وصمد أمامها، وتعايش معها، متخّذا من الجمل وسيلة للنّقل باحثا عن قوته "ولذلك تعاملت معها الرّواية العربيّة بعمق وشمولية".[3]

---

[1]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص162.

[2]– صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السّرد في روايات عبد الرّحمن منيف، ط1. المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء: 2003، ص14.

[3]– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

تظهر صورة الصّحراء في الرّواية كصورة الصّحراء المعروفة، تبدو فضاء رمليّا واسعا منبهرا، ويرد في قول الرّاوي: "الصّحراء صدر الأرض الدّافئ، جنّة الحنين الذي لا ينضب، ومن أوّل وطأة على ترتبها الرّملية والجافة الممتدّة".[1] وما يميّزها أيضا في هذه الرّواية، هو أنّها صحراء ليست عادية، بل تنبئ بدلالات عدّة، بالإضافة إلى كونها فضاء للحبّ وتبادل المشاعر بين إيزابيل وزوجها سليمان، وقد ورد ذلك في الرّواية في: "يغترشان البرنوس ويرتفقان حدبة رملية، ويغرقان في سكّر الهيام، يتبادلان تدخين غليون التّبغ وكما يتبادلان القبل والعناق".[2] تجعل الصّحراء في الرّواية مكانا للعشق، ونهاية أبديّة تجمع العاشقين بالارتباط الأبدي وهو الزّواج.

تمثّل الصّحراء جحيما جميلا بالنّسبة لإيزابيل؛ لأنّها جحيم الحريّة والمغامرة والاكتشاف، لقد وجدت في الصّحراء الحبّ والأمان والسّعادة والرّحمة، وعرفتها على فقدان الأحبّة، ويظهر ذلك في قولها: "فوجدت في الصّحراء عزائي وسعادتي، ووجدت في الحريّة السّعادة التي تناسب قلقي".[3]

جعل الرّوائي الفضاء الصّحراوي في الرّواية قبلة للسيّاح والأجانب، لما تمتلكه من مناظر خلّابة تجذب السيّاح من مختلف المناطق الأخرى والبلدان، ويرد هذا حين قال الرّاوي: "ضيوف من التلّ الشّمالي ومن المناطق الأخرى، وضيوف من تونس وليبيا والسّودان".[4] وجعله فضاء للصّراعات بين العسكر الفرنسي وفرسان مقاومة الشّيخ بوعمامة، ونجد هذا في الرّواية في قول الراوي: "الجيش الفرنسي ينتقم بعد كلّ حادثة من الأهالي والبدو والمداشر القريبة بحثا عن فرسان يتلاشون في سراب الصّحراء السّحري".[5]

---

[1]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص10.

[2]– المصدر نفسه، ص39.

[3]– المصدر نفسه، ص234.

[4]– المصدر نفسه، ص35.

[5]– المصدر نفسه، ص134.

عرض لنا الرّاوي في مدوّنته، كذلك مظاهر البيئة الصّحراوية والعادات والتّقاليد الموروثة والمقدّسة التي تعدّ من مقوّما أهل الصّحراء وسماته، ومن بينها نجد تقاليد الزّواج وكيفيّة إتمامه، "أوّلهما عند الفاتحة عندما يبارك شيخ الزّاوية وكبار العائلة، ذلك الارتباط ثمّ بدء طقوس الفرح الصّحراوي، أيّاما من الأمازيغ والولائم وأسبوعا من الانزواء بين العروسين".[1]

- **السّوق (أوّل لقاء):**

يعدّ السّوق مكانا تجاريا نجد فيه كلّ المظاهر التي تعبّر عن وجه المدينة، ولقد شكّلت الأسواق ظاهرة مميّزة في مختلف الحضارات، واهتمّ بها المؤرّخون والرّحالة، وفي الرّوايات والكتابات المختلفة، حيث إنّه من الأحياء المكانيّة التي تعكس تطوّر البلد ورقيّها، بالإضافة إلى أنّه يساعد في تجميع الأفكار كي يكون مصدرا لبثّ الوعي عند الشّعوب في بعض الأحيان.

استثمرت الرّواية الخصائص العامة لهذا المكان، حيث تصف لنا حالة السّوق بمدينة وادي في صورة مزدحمة الحركة والضّجيج، "ساحة السّوق التي تحيط بها أقواس الدّكاكين القصيرة البيضاء، حيث اختلط النّاس في لفظ تعج السّاحة بالمتسوّلين والأحصنة".[2]

وفي مقطع آخر، أيضا تصف ساحة السّوق وما يوجد فيه، وتقول: "ساحة السّوق تعجّ بالنّاس، أشرطة العمائم البيضاء، عباءات يعبث بها الهواء، ولفظ مختلط يزعق فيه الهواء".[3] ومن هذا، يتبيّن لنا الدّور الاجتماعي الذي يؤدّيه السّوق، والمكانة التي يحتلّها والجاذبيّة التي يتمتّع بها على انفتاحه على كلّ النّاس والبدو، حيث يقصدونه من كلّ الأماكن والجهات باستمرار.

---

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص39.

[2]- المصدر نفسه، ص22.

[3]- المصدر نفسه، ص32.

كما يمثّل السّوق أوّل لقاء لإيزابيل وسليمان، اين تعرّفوا على بعضهم البعض وتبادلوا الحديث لأوّل مرّة، فقد كانت إيزابيل تقول أيّ كلام لكي تتجاذب الحديث معه، جاء على لسان إيزابيل قائلة: "هل هذا الخنجر اقتنيته من السّوق؟ فأجابها هو الآخر، نعم هو خنجر لتزيين الفرسان".[1]

- **الشّارع والأزقّة:**

يعتبر الشّارع فضاء منفتحا ونابضا بالحياة، يتحرّك فيه النّاس كلّ يوم وكلّ ساعة، وفي أغلب الأحيان ما يكون مكانا مليئا بضجيج المتظاهرين وبوصفه فضاء مفتوحا يوحي بالاتّساع والانفتاح للعابرين".[2]

فالشّوارع من الأماكن التي يقصدها النّاس، والتي تترجم من خلالها التحرّكات المختلفة لهم، بالإضافة إلى ما تمنحه لهم من حريّة العقل، وإمكانيات التنقّل وسمة الاطّلاع، والتّبادل".[3] فهو عبارة عن طريق مفتوح يربط بين المنازل وبين المدن والقرى والمداشر، كما يسمح للشّخصيات بالتنقّل فيه من مكان لآخر بكلّ حريّة، فهو إذن يبتسم بالحيويّة والامتداد وبفضله تتمّ عملية التّواصل بين الأشخاص، وهذا ما يثبت الحركة المستدامة، وفضاء الشّارع في الرّواية يتمثّل في تلك الشّوارع والأزقّة التي مرّت غبرها إيزابيل حيث قالت: "انتقلنا معا إلى السّوق عبر أزقّة البيوت الضيّقة، كانت الأزقّة تعجب السّائرين".[4]

تمثّل الشّوارع والأزقّة في رواية عرائس الرّمل تكتسب أهمّية كبيرة ومنزلة، نظرا للمكانة التي تتّخذها في الرّواية، فهي أماكن الانتقال والمرور النّموذجيّة.

---

[1]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص33.

[2]– محبوبة محمدي محمّد أبادي، جمالية المكان في قصص سعيد حورانية، دط. منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، دمشق: 2011، ص51.

[3]– ياسين النّصير، الرّواية والمكان، ط1. دار الشّؤون الثّقافيّة العامة، بغداد: 1986، ص115.

[4]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص31.

- **المدينة:**

تعدّ المدينة مكانا حضاريا ذو تجمّع سكّاني، إذ توفّر المدينة حاجيات ومستلزمات الفرد المختلفة، يقول **(مهدي عبيدي):** "أوجدها النّاس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، وأوجدها لتساعدهم في العيش وتطمئنهم من العالم المناوئ ومن أنفسهم".[1]

تعدّ المدينة فضاء جغرافيا واسعا يجمع شتى الشّخصيات التي لا رباط بينها غيرها، فتصبح هي صلة الدم الجغرافية التي يقوم أساسها شبكة العلاقات.[2] فهي بحر تحتضن مختلف الأجناس لا تربط بينهم قرابة، وإنّما جمعتهم الغاية أو القدر في ذلك المكان. ففي رواية عرائس الرّمل نجد الصّحفية إيزابيل تسرد لنا مغامرتها ما بين المدن الجزائريّة شمالا وجنوبا، وبعض المدن الأوروبيّة من خلال رحلتها لزيارة أخيها. ومن المدن المذكورة في هذه الرّواية نجد ما يلي:

-مدينة واد السوف (مدينة ألف قبّة):

تقع في الشّمال الشّرقي للصّحراء الجزائريّة، وممّا ورد في حقّها من وصف الرّواية أنّها "تقترب بمهل، كأنّها بلدة للحلم، جنّة الرّمل المنزورية، موحشة وجميلة وديعة ومترقّية مثل بلدة مقدّسة".[3] وقد أطلق على هذه المدينة بألف قبّة لأنّها "تظهر مشارق البلدة الشّهباء ذات الألف قبّة، من بعيد خلف تموّجات الكثبان".[4] بالإضافة إلى "الطّابع العمراني للمدينة، فما يشدّ انتباه زائر المدينة لأوّل مرّة هو كثرة القباب فهيها، حيث تعتلي تقريبا كلّ سقف مساكن

[1]- غاستون باشلار، جمالية المكان، ص20.

[2]- حافظ صبري، "الحداثة والتّجسيد المكاني"، مجلّة فصول، عدد يوليو، دب: 1984، ص165.

[3]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص09.

[4]- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

المدينة ومحلّاتها وأسواقها ومساجدها، ما جعلها تكتسي طابعا عمرانيّا فريدا من نوعه يميّزها عن باقي مدن الجزائر".[1]

- **مدينة الوادي (عاصمة الرّمال الذّهبيّة):**

وهي كما تصفها إيزابيل في الرّواية "تقترب مديمة الوادي، كأنّها تنسلخ من رداء السّراب، تظهر أكثر اتّساعا كلّما اقتربنا، كأنّها تفتح ذراعيها الرّملية، كان سفحها الجنوبي مثقلا بالكثبان".[2] ففي هذه المدينة اشترت إيزابيل بيتا إثر دخولها الجزائر، فوصلت غليها في اليوم الثّانيمن شهر أوت سنة 1900، اندهشت من جمال طبيعتها الخلّابة، ورمالها الذّهبيّة وزخرفة الكثبان، والذي يظهر في قولها: "السّفح الرّملي بلا نهاية، يحتضن المنارة البيضاء المتقزّحة، وأفران الجبس الرّمادية وأكاليل النّخيل الخضراء".[3]

أظهرت إيزابيل الطّابع الفنّي لهذه المدينة في قولها "بوازع إبقائها وألحانها صوت البنادير والطّبول الكبيرة، والضّرب على الدّفوف، وعزف المزامير والنّايات اليدويّة".[4] وهنا تبيّن إيزابيل أنّ مدينة الوادي لها طابع فنّي راق، وصورة جمالية تظهرها بمظهر يستقطب العديد من النّاس.

كانت هذه المدينة فضاء مليئا بالحبّ، حيث تعرّفت إيزابيل على زوجها سليمان، ليقرّرا الزّواج وكلّ الوادي سمعت بقصّتهما، وقصّة عشقهما حيث يظهر هذا في هذا القول: "كلّ الوادي سمعت بخبرهما، تناقلت قصّة العاشقين".[5] ففيها عرفت معنى الحبّ ووجدت شريك

[1]– رضا شنوف، "مدينة الصّوف ألف قبّة وقبّة والشّعر والشّعراء وعاصمة الثّورة الخضراء في الجزائر"، مجلة القدس العربي، من موقع: www.alquds.com، تاريخ الاطّلاع: 2022/10/05، على السّاعة: 16:00.

[2]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص59.

[3]– المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[4]– المصدر نفسه، ص35–36.

[5]– المصدر نفسه، ص38.

حياتها الأبدي، في مدينة الوادي التي تعتبر لوحة رائعة من الجمال الصّحراوي للجزائر، حيث أنّ إيزابيل قد أعجبت كثيرا بهذه المدينة وبأهاليها أيضا.

- **باتنة (المنفى المؤقّت):**

وقد وردت في الرّواية حسب ما تصفه إيزابيل من أماكن في قول الرّاوي: "مدينة النّفي والغربة والحزن، مدينة عسكريّة ومستوطنة صارمة، أهمّ بناياتها إدارية وعسكريّة وبنايات أوروبية وسجن كبير ذو أبراج كئيبة، مدينة صغيرة مملوءة بالجنود والسّباهي والمساجين".[1] حيث مثّلت هذه المدينة المكان الذي يسلطّوا العقوبة فيه على إيزابيل، بنفيها إليه، لمحاولة التّضييق عليها والحكم عليها بالإبعاد من وادي السّوف، واعتبارها صحفيّة خطيرة تهدّد مصالح فرنسا، ونشوش على جهود الجيش الفرنسي في فرض سياسته.

- **مدينة بونة (جوهرة الشّرق الجزائري):**

حيث تمثّل الاسم القديم لمدينة باتنة السّاحليّة، شمال شرق الجزائر، وقد ذكرت إيزابيل مدينة بونة أكثر من مرّة في الرّواية كونها المدينة الأخيرة التي عاشت فيها قبل أن ترتمي إلى كثبان الصّحراء، حيث تصفها أنّها "مدينة بونة لازالت كما تركتها".[2] تلك المدينة المقدّسة والهضبة المباركة والشّواطئ الحالمة، ففي هذه المدينة تنام أمّ إيزابيل تحديدا في مقبرة (زغواني)، وهذا ما يجعل من هذا الفضاء عزيزا عليها.

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص103.

[2]- المصدر نفسه، ص107.

- **مرسيليا (المدينة الهادئة):**

وصفتها إيزابيل "بالمدينة الهادئة الجميلة، مدينة الأجراس الثّقيلة، ذات الصّوت الحزين، مدينة كنيسة سانت فيكتور المهوّلة".[1] ففي هذه المدينة يعيش أخوها وزوجته وابنته ناتالي، فقد جاءت إلى هذه المدينة طالبة نصيبها من الميراث بع إفلاسها.

- **القنادسة (ثعلب صحراوي):**

تمثّل بلدية في ولاية بشّار، وتقع هذه المدينة غرب الولاية على بعد حوالي 20 كلم تقريبا، يبعد عنها سدّ جرف التّربة غربا الذي أنشأ منذ السّتينيات بحوالي 30 كلم، كما تعدّ أوّل مدينة توهج فيها كصباح منذ أن تمّ اكتشاف الفحم فيها من طرف المستعمر الفرنسي، وهي أكبر بلديّة في المنطقة من حيث عدد السكّان.[2]

وصفت إيزابيل القنادسة كما يلي: "بدت القنادسة تحت نور الصّباح منكمشة كثعلب صحراوي مذعور، حيث انعكفت البرقة الصّخرية بشكل هلالي، تأخذ اللّون البني القاتم".[3] وقد أعجبت كثيرا بهذه البلدة، لتقوم بوصفها وصفا دقيقا ذاكرة بساتينها الجميلة، وآفاقها البعيدة، فأقامت لأسابيع في هذه البلدة وفي زاويتها، فقامت بوصف حياة الزّاوية والسّكان.

- **عين الصّفراء:**

تابعة إقليميا لدائرة عين الصّفراء ولاية النعامة الجزائريّة، قدمت إيزابيل إليها بعد مرورها على العديد من المدن ومناطق الوطن، وممّا جاء ذكره عنها في الرّواية المدروسة قول الرّاوي: "بلدة الأحداث والمفاجئات، شاحبة البنايات هزيلة الأشجار".[4] وقد اشتهرت مدينة

---

[1]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص108.

[2]– عادل، "القنادسة"، موسوعة المعرفة، من موقع: www.mareta.com، تاريخ الاطّلاع: 2022/10/05، على السّاعة: 20:22.

[3]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص60.

[4]– المصدر نفسه، ص61.

الصّفراء بمقاومتها الشّرسة الشّعبيّة للاستعمار الفرنسي، كمقاومة الشّيخ بوعمامة، حتّى إنّها التقت به وأجرت معه مقابلة.

وقيل أنّ إيزابيل شقّت طريقها نحو عاصمة الجنوب الوهراني (عين الصّفراء)، لتعمل كمراسلة لجريدة الأخبار لتغطية العديد من الأخبار، فكانت تراسل وتكتب وتصف المنطقة ولأحداث، وكانت إرادتها كبيرة في متابعة العمليات العسكريّة الاستعمارية وسير الأحداث أمام قلق واندهاش الضبّاط الفرنسيين.

توفّيت في هذه المنطقة إثر فيضان، وقد جاء في الرّواية عن هذا: "بدأت المياه تجف، وظهر وجه الأرش، وانكمشت السّيول إلى الوادي، ووجدوا جثّتها في ساحة بينها عند ركن تحت ركام من الوحل والحجر وقطع اللّوح".[1] وتمّ دفنها في مقبرة سيدي بوجمعة بعين الصّفراء.

- **قسنطينة (مدينة الجسور المعلّقة ونهاية المأساة):**

وصفتها إيزابيل مدينة المنحدرات والأخاديد العميقة والسّاحرة، بنايات فرنسيّة هائلة، وأحياء عربيّة قرميديّة.

كما ذكرت عن زيارتها لها وكأنّه الكابوس الذي عاشته طول الطّريق، حتى بدت لها مدينة شاحبة، وقد ورد هذا في قول الرّاوي: "كانت الطّريق كئيبة، حتى بدت قسنطينة مدينة شاحبة وجميلة".[2] ففي هذه المدينة تمّت محاكمة عبد اللّه بسبب محاولته قتلها، حيث رأى فيها المرأة الجسوسة على أهل الوادي، ففي هذه المدينة ظهر الحقّ وتمّ غلق القضيّة بإدانة المتّهم بالسّجن المؤبّد والأعمال الشّاقة.

[1]- محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص222-230.

[2]- المصدر نفسه، ص100.

- **تنس (مدينة الظّلم والاستغلال):**

هي مدينة تقع غرب الجزائر، مدينة صغيرة ساحليّة شرق وهران، وتنتمي إداريا إلى ولاية الشلف، تعتبرها إيزابيل مدينة الظّلم والنّفاق، وذكرت الانتخابات التي جرت فيها، حيث وصفتها بالفضيحة وكشفت تلاعب المستوطنين وتيرهم لها، ممّا دفعهم إلى تهديدها، وقد ورد ذلك في الرّواية في قول الرّاوي: "كشفت تلاعب المستوطنين وتزويرهم، فلاحقتني لعناتهم وشتائمهم وحتّى تهديداتهم".[1]

كما تسرد إيزابيل قصص مصادرة الأراضي في هذه المنطقة، وما يتعرّض له الفلّاحون من ظلم واحتقار، وتجريدهم من أراضيهم وأملاكهم وأحلامهم، كما تسرد ما تعرّض إليه عشوب وعاشوري في هذه المدينة ومصادرة مزارعهم، والضّرائب المختلفة، وبصفة عامة، كانت تنقل الوضع المرير والسّلطة الهمجيّة التي كانت تسلّطها فرنسا على الشّعب، وقد كانت هذه المدينة بالنّسبة لإيزابيل مدينة القهر والأسى والظّلم الممارس الواضح، باستغلال الفلّاحين وأراضيهم، حيث أصبح المستوطن هو السيّد المستبدّ.

- **باريس (عاصمة النّور):**

وصفت إيزابيل مدينة باريس أنّها مدينة النّور والجمال، "المدينة المضيئة والمشعّة ليل نهار المبرهجة بأزيائها في عيد دائم ومستمر".[2] وبالرّغم من كلّ هذه المواصفات الرّائعة والجميلة التي قدّمتها فإزابيل لمدينة باريس، إلّا أنّها كانت ترى فيها شيئا غامضا يعكس كلّ ذلك الجمال، بل ترى فيها التجمّل والتّباهي، وقد ورد هذا في الرّواية في قولها: "لم أتحمّ بهرجتها الزّائفة، كأنّها تتجمّل نكابة في المغادرين مثلي".[3] لذا لم تحتمل إيزابيل البقاء في هذه المدينة، فغادرتها هروبا من تبرّجها ورياءها، فعلى الرّغم من جمال المدن الأوروبية التي

[1]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص11.

[2]– المصدر نفسه، ص110.

[3]– المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

مرّت عليها، إلّا أنّه بالنّسبة لها لا شيء يضاهي صحراء الرّمال وليلي الكثبان المقمرة في الجزائر.

- **المقبرة (الدّار الدّائمة):**

تعدّ المقبرة المأوى الأخير الذي يمضي إليه الإنسان ويستقرّ فيه، حيث تسود السّكينة والصّمت المطلق، وهو مكان واسع لا يضيق، وقد ارتبط اسم المقبرة في رواية عرائس الرّمل بمقبرة سيدي بوجمعة التي تقع على امتداد الضّاحية الغربيّة لإقليم قصر سيدي بودخيل، وتتوسّط مجرى وادي البريج ووادي المويلح، كما يمتدّ جسر ليسهل التّواصل وحركة المرور بين سيدي بودخيل وحي سيدي بوجمعة، وتستمدّ هذه المقبرة أهمّيتها من حيث كونها ثاني أعرف مقبرة بمدينة عين الصّفراء.[1]

وقد ورد ذكرها في الرّواية في: "أولئك المعمّمين يلبسون الزيّ العربي الذي أحبّته، وأخذوها إلى مقبرة المسلمين قرب الوادي في مواجهة بساتين القصر في مقبرة سيدي بوجمعة بعين الصّفراء".[2]

- **السّطح (فضاء التأمّل):**

يعدّ السّطح من الأماكن المفتوحة التي جاءت كغيرها في الرّواية، ومن نماذج ذكره فيها قول الرّاوي على لسان إيزابيل: "عند الغروب، أصعد إلى السّطح حين أراقب الكون، وساعات الوادي الأخيرة في النّهار، ورقصة الألوان التي تودع الشّمس في مغيبها اليومي".[3] وفي موضع آخر، تقول: "كنت أصعد إلى السّطح كما كنت أفعل في واد السّوف لرؤية

[1]–علي نابتي، "مقبرة سيدي بوجمعة ونساء عين الصّفراء (النعامة– الجزائر)"، مجلّة إنسانيات الجزائريّة في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعيّة، ع07، الجزائر: 2007، ص03.

[2]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص232.

[3]– المصدر نفسه، ص126.

البلدة، وسماع الآذان ومراقبة الأصيل السّاحر في عين الصّفراء".[1] حيث يمثّل السّطح في رواية عرائس الرّمل المكان الذي تلجأ إليه إيزابيل، لكي تتأمّل وترى بوضوح جمال مناظر المدن الصّحراوية، وتتعجّب من تلك الناظر الخلّابة.

[1]– محمّد حسن مرين، عرائس الرّمل، ص126.

خاتمة

خاتمة

من خلال بحثنا هذا الذي كان حول تجلّيات المكان في رواية عرائس الرّمل، من خلال تحليلنا لرواية محمّد حسن مرين، نتوصّل إلى مجموعة من النّتائج على النّحو الآتي:

- يعدّ الفضاء قضيّة شائكة وحسّاسة في السّرد الرّوائي؛
- اكتسب المكان في الرّواية أهمّية كبيرة، باعتباره واسعا لحركة الحدث والشّخصيات، فقد اعتمد عليه الرّاوي في بناء الأحداث، إذ يعتبر العمود الفقري الذي يربط بين أجزائها؛
- تنوّع ذكر المكان (الفضاء الحكائي) في الرّواية بين الأماكن المغلقة والمفتوحة، وتحتل الأحداث موقعها غالبا في الأماكن المفتوحة كالشّوارع؛
- يعتبر المكان عمود الرّواية، فلا وجود لرواية دون حيّز مكاني؛
- نجد في الرّواية الوصف، حيث وصف لنا الرّاوي معالم الأمكنة وقرّب الصّورة، وقد أضافت دقّة هذا الوصف جمالية لمكان الوارد في الرّواية؛
- استخدم الرّاوي مفردات سلسة، بعيدة عن التكلّف والتّعقيد، كما نجد حركة في هذه الأماكن نلتمسها من خلال كلماتها، فكلّ الأمكنة أضافت جمالية للرّواية؛
- تعدّدت الأمكنة في الرّواية نظرا لتعدّد الأحداث، فيظهر لنا دور المكان في تشكيل أحداث الرّواية، فهو المسرح الذي تجري فيه الأحداث، وتتحرّك فيه الشّخصيات؛
- وظّف الرّوائي العديد من الأماكن ذات الصّلة الواضحة لحياة البطلة، وكلّ الأماكن التي شهدت أحداث الرّواية موجودة في الواقع، وتمثّلت في عين الصّفراء، وادي سوف.

وختاما بعد تعقّبنا للفضاء الرّوائي في رواية **(محمّد حسن مرين)**، نجد أنّ الرّاوي نجح إلى حدّ بعيد في تصوير الأمكنة في الرّواية، وتجلّى ذلك من خلال وصفه الدّقيق للمكان، ممّا خلق نوعا من الحيويّة والمغامرة والاكتشاف، وهذا ما خلق الألفة بين المتلقّي والأمكنة،

فالمكان يأخذ دلالات مختلفة في ذهن المتلقّي الذي يحاول التّأويل انطلاقا من جمالية هذه الأمكنة من أجل الوصول إلى المعاني العميقة التي تنطوي عليها الرّواية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- **أوّلا: المصادر:**

1. مرين محمّد حسن، عرائس الرّمل، ط1. دار التّنوير، الجزائر: 2013.

- **ثانيا: المعاجم:**

2. ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام هارون، مج 4، ط 1. دار الخيل، بيروت: 1999.
3. أبو الفضل محمّد بن مكرم بن علي جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، تصحيح أمين عبد الوهاب، محمّد الصّادق القيدي، مج 6، دار إحياء التّراث العربي، لبنان: 1999.
4. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللّغة، ج 12، ط1. الدّار المصرية، دب: د ت.
5. الجوهري ابن إسماعيل بن حماد، الصّحاح تاج اللّغة العربيّة والصّحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج1، مج06، دار العلم للملايين، بيروت: 1979.
6. الزبيدي محمد الحسني، تاج العروس من جواهر القاموس، مج 20، ط 1. دار الكتب العلميّة، بيروت: 2007.
7. الفيروزآبادي محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم الشّيرازي، القاموس المحيط، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت: 1999.
8. مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ط4. مكتب الشّروق الدّولية، القاهرة (الجمهورية المصريّة الدّولية): 2004.

- **ثالثا: المراجع:**

9. أحمد حفيظة، بنية الخطاب في الرّواية النّسائيّة الفلسطينيّة، ط1. منشورات مركز أوغاريت الثّقافي، فلسطين: 2007.
10. أيت أوشان علي، السّياق والنصّ الشّعري من البنية إلى القراءة، ط2. دار الثّقافة، الدّار البيضاء: 2000.
11. باشلار غاستون، جمالية المكان، تر: غالب ملسا، ط2. المؤسّسة الجامعية للدّراسات، بيروت: 1984.
12. بحراوي حسن، بنية الشّكل الروائي (الفضاء، الزّمن، الشّخصيات)، ط1. المركز الثّقافي العربي، دب: 1990.
13. بدري عثمان، بناء الشّخصية الرّئيسيّة في روايات نجيب محفوظ، ط1. دار الحداثة، بيروت: 1986.
14. بورايو عبد الحميد، منطلق السّرد (دراسات في القصّة الجزائريّة الحديثة)، دط. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1997.
15. التواتي مصطفى، دراسة في رواية نجيب محفوظ، ط3. دار العراق، بيروت: دت.
16. جداري إبراهيم، الفضاء الرّوائي في أدب حبر إبراهيم حبرا، تموز للطّباعة، ط1. دمشق: 2013.
17. حبيلة الشريف، بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، ط1. عالم الكتب الحديث، دب: 2009.
18. حميد لحمداني، بنية النص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ط1. المركز الثّقافي الفكري، دب: 2002.
19. رشيد أمينة، تشظي الزّمن في الرّواية الحديثة، دط. الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة: 1998.

20. الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، ج 2، ط1. منشورات محمّد علي بيطون، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998.
21. الشّبع مصطفى، استراتيجيّة المكان، دط. الهيئة العامة لقصور الثّقافة، القاهرة: 1998.
22. عاشور عمر، البنية السّردية عند الطّيب عاشور الجزائري، ط1. دار هومة، دب: 2010.
23. عبود وريدة، المكان في القصّة القصيرة الجزائريّة التّربوية، دراسة بنيويّة لنفوس ثائرة، دط. دار الأمل، دب: 2009.
24. العبيدي حسن مجيد، نظريّة المكان في فلسفة ابن سينا، مر: الدّكتور عيد الأمير الأعسم، ط1. دار الشؤون الثقافية العامة، العراق: 1987، ص 28.
25. عبيدي مهدي، جمالية المكان في ثلاثية منا حنا (حكاية بحار الدقل المرفأ البعيد)، ط1. منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب، سوريا: 2011.
26. العروي عبد اللّه، الإيديولوجيّة العربيّة المعاصرة، تر: محمّد عيتاني، دط. دار الحقيقة، بيروت: 1970.
27. عقاق قادة، جماليات المكان في الشّعر العربي المعاصر، جدل المكان والزّمان، دط. دار الغرب: 2000.
28. فهد حسن، المكان في الرّواية البحرينية، دراسة في ثلاثة روايات (الجدار، الحصار، أغنية الماء والنار)، فراديس للنشر والتّوزيع، ط1. البحرين: 2003.
29. الفيصل سمر، بناء الرّواية العفوية السّورية، ط3. اتّحاد الكتّاب العربي، دمشق: 1995.
30. قاسم سيزا، بناء الرّواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، دط. الهيئة المصريّة للكتاب، دب: 1984.
31. محمّد آبادي محبوبة محمدي، جمالية المكان في قصص سعيد حوارنيّة، دراسات في الأدب العربي، ط3. منشورات الهيئة السّوريّة للكتاب، دمشق: دت.

32. محمود أمين، تأمّلات في عالم نجيب محفوظ، دط. الهيأة المصريّة العامة، مصر: 1970.
33. مفقودة صالح، نشأة الرّواية العربيّة في الجزائر، التأسيس والتّأصيل، كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة: دت.
34. النّابلسي شاكر، جمالية المكان في الرّواية العربيّة، ط1. المؤسّسة العربيّة للدّراسات، بيروت: 1994.
35. نجمي حسن، شعريّة الفضاء السّردي المتحيّز والهويةّ والرّواية العربية، ط 1. المركز الأدبي العربي، بيروت: 2000.
36. النصير ياسين، "الرّواية والمكان"، سلسلة الموسوعة الصغيرة، العدد 195، دار الشّؤون للثّقافة العامة، بغداد: دت.

- **رابعا: الرّسائل الجامعيّة ومذكّرات الماجستير:**

37. البزلميط سمر محمد هايل، الرّؤيا والتّشكيل في إبداع كولكيت الخوري، رسالة علمية، دط. دب: دت.
38. الجبوري قصي جاسم أحمد، المكان في روايات تحسين كرمياني، مذكّرة مقدّمة لاستكمال درجة الماجيستير في اللّغة العربيّة وآدابها، إشراف: منتهى طه الحراحشة، جامعة آل البيت، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، الأردن: 2016/2015.
39. الحراحشة منتهى طه، الرّؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة مقدّمة لاستكمال درجة الماجيستير، جامعة آل البيت، الأردن: 2000.
40. عجوج فاطمة الزّهراء، المكان ودلالته في الرّواية المغاربيّة المعاصرة، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، تخصّص الرّواية المغاربيّة والنّقد الجديد، إشراف: قادة عقاق، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعبّاس: 2018/2017.
41. علي جمعة رحيم، المكان ودلالاته في الرّواية العراقيّة، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد: 2003.

42. علي فهد منحي، علي أحمد باكثير وأدبه النّثري، (الرّواية التّاريخية أنموذجا) –دراسة فنّية–، رسالة مقدّمة لاستكمال درجة ماجستير، جامعة العواقبة، بغداد: 2011.

- **خامسا: المجلّات والدّوريات:**

43. أبو صيف عبد الله، "جماليات المكان في النّقد الأدبي العربي المعاصر"، مجلة جامعة تشرين للآداب والعلوم الإنسانية، مج 27، دب: 2005.

44. أبو هيف عبد اللّه، "جماليات المكان في النّقد العربي المعاصر"، مجلّة جامعة تشرين للدّراسات والبحوث العلميّة، سلسلة الأدب والعلوم الإنسانيّة، مج21، ع1، دب: 2005.

45. بومتان يوري، "مشكلة المكان الفني"، تر: سيزا قاسم، مجلة عيون المقالات، ط2. دار أز، الدّار البيضاء: 1998.

46. الجيار مدحت، "جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصّبور"، مجلّة البلاغة المقارنة، ع06، الجامعة الأمريكيّة، القاهرة: 1986.

47. عبوش جعفر الشّيخ، "المكان وسلطة الوعي الفلسفي"، مجلّة أقلام السّند، ع04، دب: 2020.

48. عواطف بليلي، صالح حديد، "رمزية المكان الصّحرواي في الرّواية العربيّة رواية الدّراويش مودوت إلى المنفى لإبراهيم الدّرغوني أنموذجا"، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، مج09، ع05، جامعة تمنغاس: 2020.

49. مدفن كلثوم، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة للطيّب صالح، مجلّة الأثر الجامعيّة، ورقلة: دت.

- **سادسا: المواقع الالكترونيّة:**

50. شنوف رضا، "مدينة الصّوف ألف قبّة وقبّة والشّعر والشّعراء وعاصمة الثّورة الخضراء في الجزائر"، مجلة القدس العربي، من موقع: www.alquds.com.

51. القنادسة عادل، موسوعة المعرفة، من موقع: www.mareta.com .

52. من موقع: www.diwanalarab.com.

ملحق خاص:

1- ترجمة عن المؤلّف.
2- ملخّص الرّواية.

1-ترجمة عن المؤلّف:

يعدّ **(محمّد حسن مربن)** كاتبا ومؤلّفا جزائريّا متحصّلا على دكتوراه في الأدب الحديث والمعاصر، وهو أستاذ مشارك بالمركز الجامعي لولاية (محافظة) العامة جنوب غرب الجزائر، حيث يمتلك مجموعة من المساهمات الأكاديميّة الوطنيّة والدّولية في مجال اختصاصه بين مقالات وملتقيات علميّة، كما أنّه عضو في مخابر بحث جامعيّة جزائريّة.

أ- مؤلّفاته:

- رواية عرائس الرّمل المنشورة بدار التّنوير سنة 2013 بالجزائر؛
- أسرار إيزابيل إبراهاردت في رحلة الحب والخوف، دار الشّهاب، كاريزما الجزائر، 2018؛
- المسرح المدرسي، دار لوسيل، قطر، 2019؛
- الرّواية والتّاريخ، دار الوتد، قطر، 2021.

ب- مقالاته الأدبيّة:

- الرّواية الجزائريّة بين الأدبي والإيديولوجي: رأي اليوم؛
- نكهة التّرجمة ولذّة النص: الحياة؛
- رواية فلسطين بين الذكّية وحلم العودة: القدس العربي؛
- المدرسة بين التّعليم والإيديولوجيا: نفحة؛
- عرض رواية تنزرفت لضيف اللّه عبد القادر مسارب؛
- الرّواية الجزائريّة بين الإيديولوجي والتّكفيري: رأي اليوم؛
- هل نغود شهيّة الشمّ: يوميّة الحياة؛
- روائيون وشعراء من خارج الأسوار: الحياة؛
- صحراء الكوني في عالمه السّردي: نفحة؛

- عرض رواية سبيراديمويتري لعبد الوهّاب عيساوي: نوافذ ثقافيّة؛
- رأي حول نهاية العولمة وخارطة العالم الجديد: رأي اليوم؛
- الحراك السّياسي: تجربة الصفّ وخيار السّلمية: ساحة الحريّة؛
- السّعوديّة وسلفيتها والقرن الأمريكي: ساحة الحريّة؛
- عوالم السّرد في صوت البحر: القدس العربي؛
- بيان القمّة الخليجيّة المغربيّة، وتداعياته المستقبليّة: رأي اليوم؛
- الكاتب المعتزل والرّجوع المزمن: مسارب؛
- سوناتا واسيني وسرد الفنّ: مجلّة مسارب؛
- النصّ الدرامي الجزائري: عقدة السكاتش وإشكالية اللّغة: نفحة؛
- الكاتب المعتزل والرّجوع المزمن: جريدة الحياة.

2-ملخّص الرّواية:

تدور أحداث رواية عرائس الرّمل للكاتب محمّد حسن مربن حول حياة الرّحالة العالمية إيزابيل إبرهاردت (IsabelleEberhard) بين (1877و 1904)، التي جاءت إلى الجزائر حين قصدت بلدة وادي السوف الصّحراوية للإقامة بها، مع استحضار ذاكرة طفولتها في ميلان قرب جنيف بسويسرا وحياة عائلتها، حيث تتذكّر أمّها التي توفّيت وتركت قبرها في مدينة بونة (عنّابة) الجزائريّة، بينما رحلت إلى الصّحراء لتصف وادي السوف برمالها وقبابها، وسكّانها الذين أحبّتهم لأوّل مرّة، حيث كانت تشعر بالصّدق في وجوههم، وفيها تعرّفت على أحد فرسان الصّبايحية (السّباهي) المدعو سليمان وتزوّجت به.

ملحق خاص

كما تصف خلال إقامتها حياة الصّحراويين، وظروف قمع الجيش الفرنسي للسكّان، وتصرّفات ضبّاطه القاسية، كما تروي حادثة مقتل أحد هؤلاء العسكريين من طرف أحد السّكان بسبب الاعتداء على زوجته، مكيف حكم عليه بالإعدام، وتعاطف النّاس معه، وتسرد الرّواية أيضا حياة الفلّاحين ومعاناتهم، مع مصادرة الأراضي منهم، وقمع الجيش الفرنسي لهم، وكيف تذمّرت الإدارة الفرنسية من مواقف إيزابيل وكتاباتها المتعاطفة مع السكّان، وتفاصيل حادثة اغتيالها بتحريض من الجيش الفرنسي، عن طريق أحد السكّان المحلّيين المتطرّفين، ومعاناتها في مستشفى وادي الصّوف، وكذلك إبعاد زوجها إلى باتنة للتّضييق عليها، ومعاقبتها ثمّ الحكم عليها بإبعادها من وادي السوف، وبذلك لحقت بزوجها إلى باتنة التي كانت مدينة عسكريّة للتغنّي، كما قامت برحلة بحريّة نحو فرنسا إلى مرسيليا وباريس لزيارة أخيها، ومطالبته بالحصول على نصيبها من الميراث، ثمّ قرارها بالرّحلة نحو الجنوب الغربي لتغطية أخبار الحرب بين الجيش الفرنسي، ومقاومة الشّيخ بوعمامة خلال (1881-1908) لفائدة جريدة الأخبار.

تسرد إيزابيل رحلتها إلى الجنوب الوهراني نحو بلدة عين الصّفراء، حتى السّاورة جنوبا، فتصف طريقها وتتذكّر البلدات والمدن التي زارتها مثل تنس، الجزائر العاصمة، تلمسان، وتصف مرورها بالقطار عبر بلدات ومدن مثل المشوية، ووصولها لعين الصّفراء، فوجدت المنطقة غارقة في أخبار الحرب والمعارك بين العسكر الفرنسي وفرسان مقاومة الشّيخ بوعمامة من سكّان قبائل الجنوب الغربي، فتصف لقاءها مع الجنرال الفرنسي ليوني الذي كان يبني الأبراج ويقيم السّكك الحديديّة نحو الصّحراء، ويحاول ترهيب وترغيب القبائل للتخلّي عن مقاومة بوعمامة، كما أنّها تروي حياة القبائل والبدو في ظلّ حياة الحرب والخوف والتوسّع العسكري الفرنسي.

ملحق خاص

قامت إيزابيل برحلة نحو بني ونيف وبشّار وصولا إلى زاوية القنادسة، حيث تصف البلدات والزّوايا، وحياة السكّان والقوافل والفرسان وأحداث الحرب، وإقامتها لأسابيع ببلدة القنادسة في زاويتها، فتصف بذلك حياة الزّاوية والسكّان يومها، قبل العودة إلى عين الصّفراء ضمن قافلة، واستمرار المواجهة بين المقاومة والاحتلال، وتلاشي معاهدة الأمان بينهما بسبب الاعتداء على فرسان المقاومة، ودخلت المستشفى لأيّام بسبب مرها، قبل خروجها واستقبال زوجها سليمان الذي التحق بها في مسكنها وسط المدينة، حتى توفّيت خلال فيضان 1904 الذي جرف منزلها، فوُجدت بعد أيّام من البحث تحت الأنقاض، ودفنت في مقبرتها الإسلامية، وانتشلت أوراق كتاباتها مثل يومياتها وبعض قصصها، ومقالاتها لتنشر لاحقا في كتب، فتناقلت الحادثة الصّحافة، وتنتهي قصّة الرّحالة والصحفيّة إيزابيل في الجنوب الذي أحبّته ودافعت كثيرا عن سكّانه.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصّفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدّمة	01
الفصل الأوّل: ضبط مصطلحات البحث	
- توطئة	04
1-مفهوم المكان لغة واصطلاحا	05
2-ثنائية الفضاء والمكان	11
3-أنواع الأمكنة:	
أ- الأمكنة المفتوحة	15
ب- الأمكنة المغلقة	18
4-توظيف المكان في الرّواية	21
الفصل الثّاني: دراسة المكان في رواية عرائس الرّمل لمحمّد حسن مرين	
1-دراسة الأماكن المغلقة في الرّواية.	26
2-دراسة الأماكن المفتوحة في الرّواية.	38
- خاتمة	51
- قائمة المصادر والمراجع	54
- ملحق خاص	
- فهرس الموضوعات	
- ملخّص	

ملخّص: تعدّ الرّواية من أهمّ الأجناس الأدبيّة التي تتناول موضوعات ترتبط بواقع الفرد، من تجارب يعيشها، ومواقف يتعرّض لها، حيث يحاول الكاتب صياغتها اعتمادا على الكتابة الإبداعية التي تتطلّب مجموعة من العناصر ينشئ من خلالها كاتبها بنية نصّية جمالية ذات لمسة فنّية خاصة، ومن بين هذه العناصر إيراد المكان بصور مختلفة فيها، من شأنها أن تعطي النصّ مجموعة من الأنماط الكتابيّة المعبّرة، والتي تحمل وظيفة خاصة بكلّ واحدة منها، وهو موضوع دراستنا هذه، حيث جاءت بتسليط الضّوء على بروز هذه الأماكن في واحدة من إحدى أهمّ الرّوايات لمحمّد جسن مربن "عرائس الرّمل" بقراءة بنيويّة تجيب عن مجموعة من التّساؤلات التي يطرحها البحث، للوصول إلى الإجابة التي تسعى إليها هذه الدّراسة، من خلال الكشف عمّا تحمله هذه الأماكن من دلالة ووظيفة في هذه الرّواية.

Résumé:

Le roman est l'un des genres littéraires les plus importants qui traite de sujets liés à la réalité de l'individu, à partir des expériences qu'il vit et des situations auxquelles il est exposé, indiquant la place dans différentes images, ce qui donnerait au texte un ensemble de motifs d'écriture expressifs,ce qui porte une fonction propre à chacun d'entre eux, qui fait l'objet de notre étude, puisqu'il est venu éclairer l'émergence de ces lieux dans l'un des romans les plus importants de Muhammad Hassin Marban « Brides of the Sand » avec un lecture systématique qui répond à un ensemble de questions posées par la recherche, pour parvenir à la réponse que cherche à faire cette étude, en révélant la signification et la fonction de ces lieux dans cette narration.